



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الموصل / كلية الآداب  
مجلة آداب الرافدين

# مَجَلَّةُ

# آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد الرابع والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

شعبان – 1442هـ / آذار 2021/3/11م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : 14 لسنة 1992

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

[radab.mosuljournals@uomosul.edu.iq](mailto:radab.mosuljournals@uomosul.edu.iq)

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

# المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية  
واللغات الأجنبية

ملحق العدد: الرابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون رجب - 1442هـ / آذار 2021م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق  
مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق  
أعضاء هيئة التحرير:

علم الاجتماع	الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب
علم الاجتماع	الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي
الترجمة	الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
اللغة العربية	الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة
التاريخ	الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني
اللغة الفرنسية وآدابها	الأستاذ الدكتور كلود فينثور
التاريخ	الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار
التاريخ	الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب
الإعلام	الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد
اللغة التركية وآدابها	الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو
المعلومات والمكتبات	الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى
اللغة الإنكليزية	الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي
الأدب الإنكليزي	الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز
اللغة العربية	الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام
الفلسفة	المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد

سكرتارية التحرير:

مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية	التقييم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر
مقوم لغوي/ اللغة العربية المتابعة:	أ.م.د. أسماء سعود إدهام
إدارة المتابعة	مترجم. إيمان جرجيس أمين
إدارة المتابعة	مترجم. نجلاء أحمد حسين

## قواعد تعليمات النشر

- 1- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:  
[. https://radab.mosuljournals.com/contacts?\\_action=signup](https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup)
- 2- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:  
[. https://radab.mosuljournals.com/contacts?\\_action=logIn](https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=logIn)
- 3- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الإطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- 4- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
  - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف 16/ المتن: بحرف 14/ الهوامش: بحرف 11)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (27) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (25) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (30) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حد ما ذكر آنفًا .
  - تُرتَّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
  - يُحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله 20% .
- 5- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
  - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
  - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
  - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (150) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (3) كلمات، ولا تزيد عن (5) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.
- 6- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكالية البحث).
  - يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلها أو دحضها علمياً في متن البحث .
  - يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدّد الغرض من تطبيقها.
  - يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
  - يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .
  - يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
  - يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
  - يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .
  - 7- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض. فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .
- تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

## المحتويات

الصفحة	العنوان
<b>بحوث اللغة العربية</b>	
52-1	أبو عبد الله الحُمَيْدي وكتابه جَدْوَةُ الْمُقْتَبِسِ حازم عبد الله خضر
91-53	القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب طارق محمد امين عبدالله الامام و ابراهيم محمد محمود الحمداني
111-92	أثر عقدة النقص في شعر بشار بن برد منتصر عبد القادر الغضنفرى و أحمد عبد الوهاب حبو
131-112	الذاكرة في رواية أحفاد أورشناي لهيتم بهنام بردى جمان فيصل خليل و فيصل غازي النعيمي
165 -132	التصحیحات النحویة للعکبری في كتابه " التبيان في إعراب القرآن" سعد محمد أحمد
214 -166	الصفات البشرية المعنوية السلبية في القرآن المجيد . دراسة دلالية . صلاح الدين سليم محمد أحمد
239 -215	الغزل والغزل المكنى في شعر حميد بن ثور الهلالي رافعة سعيد السراج وإيمان خليفة حامد
272 -240	العنوان ومقصدية الاختيار غانم صالح سلطان و مشعل عايد دبي
315 -273	الأقتراض اللغوي في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت395هـ) حكيم عبدالنبي حسن إبراهيم
338 -316	فاعلية المتخيل العجائبي في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم محمد حميد بلال
371 -339	اللسانيات العربية عند تمام حسان بين التأصيل والحداثة - المستوى الصوتي أمودجًا. سميرة عبدالمالك ,نادية شارف
<b>بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية</b>	
398 -372	أوضاع التعليم الرسمي في كركوك 1914-1870 لمى عبد العزيز مصطفى
430 -399	إسهامات المرأة في بناء الأربطة في مدينتي بغداد و مكة المكرمة في العهد العباسي المتأخر شهلة برهان عبدالله ( 1055 - 1258 م )
454 -431	عساكر السكبان ودورهم في بلاد الشام 1635-1595 م أحمد محمد نوري أحمد العالم
<b>بحوث الفلسفة</b>	
493-455	نظرية المعرفة عند لايبنتز زياد كمال مصطفى
555 -494	الهيرمينوطيقا من التأويل إلى التحريف دراسة أصولية نور الدين جميل عبدالقادر التاوطوزي

بحوث علم الاجتماع	
586 -556	الحكايات الشعبية ودورها في تنمية الطفل اجتماعيًا دراسة تحليلية للحكاية الشعبية الموصلية نجلاء عادل حامد
631 -587	تمثيل المرأة في الوظائف القيادية بين التحديات وأليات التمكين (دراسة ميدانية في مدينة الموصل) نور يحيى يوسف
بحوث المعلومات والمكتبات	
675 -632	قواعد الفهرسة ومدى تأثيرها بتطورات الضبط الببليوغرافي ومعايير المبتاداتا رغل نزار عبد القادر الخيرو
بحوث علم النفس التربوي وطرائق التدريس	
730 -676	أثر استخدام أسلوب تحليل النصّ في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية خولة احمد محمد سعيد البريفكاني ونعم محمد باسل قاسم العزاوي
762 -731	أثر استراتيجيّة (Swom) في تحصيل طلبة الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربيّة شهاب أحمد حنش
788 -763	الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة دهوك - قضاء عقرة وعد سعيد طه وشوّاف محمد مصطفى أنموذجًا-
بحوث الآثار والدراسات المسمارية	
809 -789	أسباب الأمراض وطرائق معالجتها عند المصريين القدماء دراسة مقارنة مع العراق القديم عبد الرحمن يونس عبد الرحمن
بحوث الشريعة الإسلامية واصلو الفقه	
836 -810	أهداف الحوار عند اليهود مع الرسول (ﷺ) ظفر عبد الرزاق ذنون و وعد الله صالح جاسم
899 -837	حكم التعامل بالعملات الإلكترونية وضوابطه الشرعية محمود محمد علي الزمناكوبي
920 -900	الإبادة الجماعية من منظور القرآن الكريم والكتاب المقدس نذير سعيد مصطفى و عبد الحق هنر عوني
976 -921	آراء العلماء في التفرق المقصود في خيار المجلس وتطبيقاته الفقهية (دراسة مقارنة) جمال عزيز أمين

## القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب

طارق محمد امين عبدالله الامام\* و ابراهيم محمد محمود الحمداني\*

تأريخ القبول: 2018/12/16

تأريخ التقديم: 2018/11/14

### المستخلص:

إنَّ مفهوم القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب في منظورها العام هي التجربة الشعرية الشاملة للشاعر؛ لأنها هي معقد الصلة بين مجموعة الرؤى والصور والافكار والانفعالات من جهة، وبين نمط التعبير عنها من جهة اخرى، وتأتي القيم في مقدمة وسائل التعبير عن التجربة، وترتبط ارتباطاً نفسياً قوياً، فالقدرة على التصوير هي اهم موهبة يمتلكها الشاعر فاذا استعرضنا طائفة من اقوال النقاد في بيان اهمية القيم في العمل الفني، فإننا نجدهم يقولون: ان الشعر لا يكون شعراً إلا بالقيم، وهي البنية المركزية للشعر ووسيلته الفنية المحيطة به، ومن القيم التي ظهرت في شعر النمر بن تولب هي الوفاء والكرم والبخل والخيانة.

الكلمات المفتاحية: (تصوير، إيمان، حكمة) .

### المقدمة:

الحمد لله الذي نور قلوب المتقين بنعمة الايمان، وانطق ألسنة الصادقين بالحكمة والبيان والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى الاطهار وصحبه الاخيار، ومن تبع سنتهم واقتفى أثرهم بإحسان الى يوم الدين. وبعد: ان النقلة التي احدثها الاسلام في الحياة العربية بكل جوانبها كان لها بالغ الاثر في الشعر العربي آنذاك، ولا غرابة في ذلك لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر الناس، وتجسيد أفكارهم، وقد ظهر تأثير الاسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر صدر الاسلام، وفي خصائص الشعر الفنية، من حيث الالفاظ والمعاني والصور والافكار والاخيلة. فلقد امتلك النمر بن تولب كغيره من الشعراء الفحول، القدرة الجمالية التي توجهه في استعمال الالفاظ، واستثمار

\* مدرس مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

\* استاذ / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

خصائصها، الذي حوّل الالفاظ المفردة المعجمية الى الفاظ ذات طابع شعريّ، جعلها تتسم بخصوصيات شعريّة، حتى اصبحت إنموذجاً استطاعت ان تفرّض وجودها وتترك بصمة واضحة في خارطة الشعر العربيّ.

### توطئة:

النمر بن تولب بن زهير العكلي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم الإسلام فحسن إسلامه وهو صحابي وفد على الرسول (ﷺ) مسلماً، ومدحه. أمتاز هذا الشاعر بحسن خلقه وسعيه إلى مكارم الخلق وعلى رأسها الكرم والوفاء ويقول ابن سلام الجمحي "والنمر بن تولب جواد لا يليق شيئاً" وشبه عمرو بن العلاء شعره بشعر حاتم الطائي، ولم يكن الكرم والفروسية فقط ظواهر جلية في حياته - كما عكس ذلك شعره- وإنما احتوى على منظومة من القيم والخصال الحميدة التي تنم عن روح طاهرة وقلب سليم يسعى إلى المكارم جاهداً في تحصيلها فقد صور. شعره العفة والطهارة، فضلاً عن الوفاء والمروءة والكرم والفروسية حتى صار كل ذلك هاجسه ، وهذا ما شهد له به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اعترافاً بقيمه حينما قال: "خير ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب في خرفه، وكان هجير النمر بعد أن كبر وخرف وأهتر: أصبحوا الراكب اعبقوا الراكب اقروا أنحروا للضيف أعطوا السائل تحملوا لهذا في حمالته كذا وكذا لعادته بذلك فلم يزل يهذي بهذا وشبهه مدة خرفه حتى مات" ومن يقرأ ديوان الشاعر يجده عبارة عن منظومة خلقية متكاملة كريماً مهيناً لماله باذلاً له للقريب والبعيد وهو يرى أطيّب المال ما ينفق وأعزه ما سدّت به حاجة الآخرين، ذاماً البخل معرضاً بأهله وإن كانوا أقرب الناس إليه، وكذلك تأتي صفة الوفاء بالعهد التي من شأنها أداء الأمانة ورعاية الحقوق وهذه الصفة كذلك كانت هاجسه فالشاعر كما كان ماخوذاً بالكرم كذلك كان مأخوذاً بالوفاء بالعهد، يخشى العار لا في حياته فحسب بل حتى في مماته لذلك كان يحسب دقائق قلبه متمسكاً بقيم الرجولة حاسباً حساب ما بعد الموت ليخلد ذكره ومن أنفاسه ويحصي هنا كان يدين الخيانة ويعرض بأهلها محتقراً من يتصف بها حتى وإن كان أقرب الناس إليه، هكذا كانت صفتا الكرم والوفاء خط الشروع عنده ومقياس علاقته مع المجتمع ومن هنا كانت فرضية بحثنا تنطلق لدراسة الوفاء والخيانة والكرم والبخل متناولين ما يدور من قيم



كثيرة تندرج تحتها في هذا البحث الموسوم الوفاء والخيانة والكرم والبخل في شعر النمر بن تولب .

### الوفاء والخيانة:

لاشك ان حياة الجاهلي حياة حرب، تسودها العصبية العمياء، وتعتمد القوة والفتك، غير ان العربي نفر من صفة الخيانة والكذب ، والغدر بالآخرين، والتزم الوفاء والصدق في طبعه، وجعله ديناً له، وكانت الكلمة ينطقها العربي عهداً يجب عليه ان يفي بها، لذلك رثى الشعراء قتلاهم وموتاهم بذكر وفائهم كصفة كريمة كانوا يتحلون بها.

ان الوفاء بالعهد وأداء الأمانة وذم الخيانة وأهلها قيم عليا يمكن أن نستلهمها من شعر شاعرنا بطريقة مباشرة أحياناً و غير مباشرة أحياناً أخرى، وإن ما يمكن أن نعتمده في شعر النمر بن تولب هو الاعتماد على عناصر عدة منها: زوجتا الشاعر جمرة ودعد ، وإخوته، ومجتمعه، ودينه الجديد، وإيله فمن خلال هذه العناصر يمكن لنا أن نلاحظ مدى دعوة شاعرنا بالوفاء بالعهد والامانة، و ذمه للخيانة و أهلها، فضلاً عن مدى ترسيخ هذه القيمة الخلقية الرفيعة - أي الوفاء - في سلوكه وواقعته.

فوقاؤه تجاه زوجته - جمرة ودعد - يمكن أن نستوحيه من خلال غزله بهما دون غيرهما فضلاً عن إظهار حزنه و تأسيه عند فراقه لإحداهما، فهذه جمرة زوجته الأولى لما تغزل بها جاء غزله لها غزلاً صادقاً نستشف منه عاطفة حقيقية تتم عن المودة والرحمة والوفاء لها ولذكراها، فقد افتتح باسمها غير قصيدة، إذ يقول<sup>(1)</sup> :

صَرَمَتْكَ جَمْرَةٌ وَاسْتَبَدَّ بِدَارِهَا      وَعَدْتُ عَوَادِي الْحَرْبِ دُونَ مَزَارِهَا  
زَيْتُكَ أَرْكَانُ الْعَدْوِ فَأُضْبِحَتْ      أَجَاً وَجُبَّةً مِنْ قَرَارِ دِيَارِهَا

(1) شعر النمر بن تولب، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1969م: ٥٩ - ٦٠ ، الصرم القطع، زيتك: دفعتك، أجا وجبة: موضعان، الأنف: التي ترع، يغم: يعلو ويسد، الضال: السدر البري، والبحار: جمع بحرة و هي الأرض المستوية، عزيت: بعدت، السمي: الأمطار، أصبارها: أعاليها ورأسها، أنماط: مفردتها نمط وهو ضرب من البسط، الحنوة: نبات سهلي طيب الريح، الجرجار: عشبة لها زهرة صفراء حسناء، وينظر شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية ، مصطفى عبد الشافي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1 ، 1995 م ، 191.

وكأنَّها دَقْرَى تَخَيَّلُ نَبْتَهَا      أَنْفٌ يَعْغُمُ الصَّالَ نَبْتُ بَحَارِهَا  
عَزَبَتْ وَبَاكَرَهَا السَّمِيُّ بَدِيمَةً      وَطَفَاءَ يَمْلَأُهَا إِلَى أَصْبَارِهَا  
وَكأَنَّ أَنْمَاطَ الْمَدَايِنِ وَسَطَهَا      مِنْ نَوْرِ حَنْوَتِهَا وَمِنْ جَرْجَارِهَا

فالشاعر يشير من خلال هذه الأبيات، وبصورة غير مباشرة إلى وفائه لزوجته، وإن صورتها الجميلة ماثلة في النفس فهي حية في الذكر، وأنها تستوطن المخيلة رغم شواغل الحرب التي شغلته عن زيارتها.

فجمرة زوجته وجوهرة حياته التي صرح باسمها في البيت الأول، تمل في مخيلته روضه دقري - جادت عليها السماء بماء غزير ساكن لا رعد فيه، ولا برق، فغدت هذه الروضة ممرعة تغمرها وتغطيها زهور بيض وصفر، فضلا عن النباتات الطيبة الرائحة، فهذه الروضة -عزبت- لم يرها أحد رغم حسنها وبهائها، فهي عزيزة عصية المنال.

وبهذا استطاع شاعرنا أن يجعل من هذه الروضة معادلا موضوعيا لزوجته جمرة و لاسيما في الخصب والنماء والحسن والبهاء والحياة، فضلا عن المنعة التي اتسمت بها جمرة كونها استبدت بدارها، وامتنعت بعزتها، وهذه الصورة تعكس أسلوبا جاهليا بدويا في الحياة، فالجاهلي البدوي حريص على أن تكون صاحبه له وحده دون غيره.

ثم يأتي شاعرنا بعد هذه الأبيات، فيشبه زوجته جمرة ببكرة وحشية قلقة غير مستعرة وفيه لولها تخاف عليه فتظل تدور حوله كما تدور الفتاة الصغيرة حول صنمها، فيقول(2):

وكأنَّها عَيْنَاءُ أُمِّ جُوَيْذِرٍ      خَذَلَتْ لَهُ بِالرَّمْلِ خَلْفَ صَوَارِهَا  
خَرِقٍ إِذَا مَا نَامَ طَافَتْ حَوْلَهُ      طَوْفَ الْكَعَابِ عَلَى جَنُوبِ دُورِهَا  
بِأَعْنٍ طِفْلٍ لَا تُصَاحِبُ غَيْرَهُ      فَلَهُ عُفَافَةٌ دَرَّهَا وَغَرَارِهَا

(2) شعر النمر بن تولب: ٦١، الجؤذر: ولد البقر، الصوار: القطيع من الغنم والبقر، خرق: لاصق بالأرض، الدوار: صنم كانوا يدورون حوله في الجاهلية، الأغن: الذي في صوته غنة، العفافة: ما يبقى من لبن في الضرع بعد الحلب، الغرار: ما ترفع الناقة من لبنها.

فالنمر بن تولب في غير هذه القصيدة يكرر صورة هذه الروضة نفسها بتفصيل أكثر، بعد أن تسبى صورة الروضة أربعة أبيات يذكر فيها شاعرنا بعد جمرة عنه، وحلولها مع قومها في تيماء، ومصرحا من خلال هذه الأبيات عن حزنه وتحسره على زمن ماض جميل جمع بينهما، ويشير فيها كذلك إلى عدد من الأماكن التي كان يلاقي فيها زوجته جمرة و يلهو بها، وأن هذا اللقاء المقرون بزمن الماضي الجميل له في نفس شاعرنا محبة ووقع خاص، إذ ترك في نفسه أثراً جميلاً وعميقاً، لا يمكن أن يمحي، فيقول<sup>(3)</sup>:

شَطَّطَ بِجَمْرَةَ دَارٍ بَعْدَ إِمَامٍ	نَأْيٍ وَطُورٍ بِعَادٍ بَيْنَ أَقْوَامٍ
حَلَّتْ بِنَيْمَاءَ فِي قَوْمٍ إِذَا اجْتَمَعُوا	فِي الصُّبْحِ نَادَى مُنَادِيهِمْ بِأَشْأَمٍ
وَقَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَالِدَارُ جَامِعَةً	بِالْخُرَجِ فَالْنَهْيِ فَالْعَوْرَاءِ فَالذَّامِ
حَتَّى أَشْتَقَى وَشَفَى مِنْهَا لُبَانَتَهُ	وَمَا يَزِيدُ شَفَاءً غَيْرَ إِسْقَامِ

ان ما يمكن أن نستوحيه ونستشفه من خلال هذا التذکر الحي الذي لا يمكن أن يزول، هو وفاء شاعرنا لعهد المودة والمحبة التي كانت بينه وبين زوجته جمرة، فهي حاضرة بروحها وريحانها وإن غابت عنه بجسدها، فهو يتذكرها من وقت لآخر دون توقف، فحنيته وشوقه الصادق لها والذي نراه محسوساً في قوله: (ما يزيد شفاء غير إسقام) فكلمة أشفى منها لبانته زاد تعلقاً بها، قد عبر عن الحب الحقيقي والوفاء المحض لها. وبعد هذه الأبيات الأربعة يأتي شاعرنا بروضته الغزلية، والتي قوامها ستة أبيات، فيقول<sup>(4)</sup>:

كَأَنَّ جَمْرَةَ أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبْهًا	فِي الْعَيْنِ يَوْمَ تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِ
مَيْثَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مَسْبِلٌ هَطْلٌ	فَأَمْرَعَتْ لَاحْتِيَالٍ فَرَطٌ أَعْوَامِ

(3) المصدر نفسه: 110، بالخرج فالنهي فالعوراء فالذام: هذه موضع.

(4) شعر النمر بن تولب: 110-112، عزتها: غلبتها، وأرمام: جبل أو واد، الفأو: قطعة من الأرض تطيف بها الجبال، الجرام: الذين يصرمون التمر، الحنوة: نبات سهلي طيب الريح، الالهضام: البخور.

إِذَا يَجِفُّ ثَرَاهَا بَلْهًا دِيَمٌ      مِنْ كُوكِبٍ نَزَلَ بِالْمَاءِ سَجَامٌ  
لَمْ يَرَعَهَا أَحَدٌ وَارْتَبَا زَمَنًا      فَأَوْ مِّنَ الْأَرْضِ مَخْفُوفٌ بِأَعْلَامٍ  
تَسْمَعُ لِطَيْرٍ فِي خَافَاتِهَا زَجَلًا      كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتُ جُرَامٍ  
كَأَنَّ رِيحَ خُزَامَاهَا وَخَنُوتِهَا      بِاللَّيْلِ رِيحٌ يَلْتَجُوجُ وَأَهْضَامٌ

إن شاعرنا يشبهه جمرة التي تمثل في مخيلته بصورة فريدة يشق أن تماثلها صورة في حسنها وجمالها، ويوم ذاك اللقاء، الذي مازال ماثلاً في الذهن والنفس بروضة ميثاء - خصبة نزل عليها مطر غزير وفير لين يدوم اليوم واليومين، فروضة الشاعر لا تجف أبدا إذ توكل بها كوب ينزل عليها بوابله ويغسل ثراها بديمه، فغدت ممرعة يغمرها الرواء والندى.

ويظهر شاعرنا مكان هذه الروضة في بطن الأرض، وتحيط بها الجبال من كل جوانبها، فهي بذلك تكون محفوظة من الرياح الشديدة العاتية ومن أعين الناس، كما يظهر شاعرنا منعة هذه الروضة كونها في منأى عن كل من سار على قدمين، إذ لا يصلها غير من كان له جناحان يطير بهما، فالطير وحده من يطرب ويغني في هذه الروضة. وحتى يستكمل شاعرنا ملامح هذه الروضة الفريدة من نوعها، راح يطيب جوها بالروائح المنعشة الزكية من الخزامى و الحنوة والأهضام<sup>(5)</sup>.

وبهذا يكمل شاعرنا هذه الروضة الجميلة التي يمكن لنا أن نستشف ونلاحظ من خلال تصويره، أن الروضة معادل موضوعي لزوجته جمرة جوهره حياته، وذلك في الخصب والنماء والحياة والمنعة، وفي مقابل ذلك فإن الطير هو معادل موضوعي للشاعر.

فتصوير شاعرنا لتفرد هذا الطير بالروضة و تعلقه بها، يعكس لنا مدى حرص الشاعر على أن تكون جمرة له دون غيره، ولعل هذا التصوير لشاعر مدفوع من قلق نفسي ينتابه من وقت لآخر بإزاء أن زواجه من جمرة هو زواج ما يسمى بزواج الأخيذة

(5) الروضة الغزلية في قصائد قديمة، عبد الكريم يعقوب، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م27، ع1، 2005: 23-24-25.

(6)، فالشاعر قلق من القيم الاجتماعية التي طالما تدعو الأخيذة بترك زوجها السابي والعودة إلى رحاب زوجها الاول، وهذا ما حدث فعلا مع شاعرنا وزوجته جمرة كما تذكر الأخبار (7).

كما أن الشاعر يعرض لنا شاهدا آخر في الوفاء لزوجته جمرة بعد أن يقف على أطلالها في ثلاثة أبيات، فيقول (8):

تَأْبُدُ مِنْ أَطْلَالِ جَمْرَةَ مَا سَأَلُ	وَقَدْ أَفْقَرْتُ مِنْهَا شَرَاءً فَيَذْبُلُ
فَبِرْقَةُ أَرْمَامٍ فَجَنْبًا مُتَالِعٍ	فَوَادِي سَلِيلٍ فَالْنَدِيِّ فَأَنْجَلُ
وَمِنْهَا بِأَعْرَاضِ الْمَحَاضِرِ دِمْنَةٌ	وَمِنْهَا بِوَادِي الْمُسْلَهَمَةِ مَنْزَلُ

فالشاعر يصف من خلال هذه الأبيات الأماكن والمواضع التي قد فارقتها جمرة، كونها أصبحت وحشة خربة لا حياة فيها جراء فراق جمرة الحبيبة، ثم يأتي شاعرنا بعد ذلك بغزل عفيف لها، فيقول (9):

أَنَاةٌ عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَرَبْرَجَدٌ	وَنَظْمٌ كَأَجْوَزِ الْجَرَادِ مُفَصَّلٌ
يُرَبِّتُهَا التَّرْعِيبُ وَالْمَحْضُ خَلْفَةً	وَمِسْكٌ وَكَافُورٌ وَلُبْنَى تَأْكُلُ
يُشْنُ عَلَيْهَا الرَّعْفَرَانُ كَأَنَّهُ	دَمٌ قَارِتٌ تُغْلَى بِهِ ثُمَّ تُغَسَّلُ
سِوَاءَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ لَمْ تَدْرِ مَا الصِّبَا	إِذَا مَا رَأَتْهُ وَالْأُلوْفُ الْمُقْتَلُ
وَكَمْ دُونَهَا مِنْ رُكْنٍ طَوْدٍ وَمَهْمَةٍ	وَمَاءٍ عَلَى أَطْرَافِهِ الدِّثْنُ يَغْسِلُ
وَدَسَّتْ رَسُولًا مِنْ بَعِيدٍ بَأْيَةٍ	بِأَنَّ حَيِّهْمُ وَاسَأَلَهُمْ مَا تَمَوْلُوا

(6) (الأخيذة) المرأة تسبى في الحرب وما اغتصب من شيء فأخذ. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى: 8/1.

(7) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢٠٠٢: ٢٢ / ٢٢٧.

(8) شعر النمر بن تولب: ٨١ - ٨٢ تأبد: توحش، شراء: جبل شامخ، أعراض المحاضر: جوانب المياه.

(9) المصدر نفسه: ٨٢-٨٣، نأة: بطيئة القيام، يربتها: يغذيها، الترعيب: السنام المقطع، ولبنى: شجر لها لبن كالعسل، يشن: يصب، دم قارت: قد يبس بين الجلد واللحم، الألوْف الذي بألف النساء ويألفنه، المقتل: الغزل.

فقد وصف شاعرنا مشية حبيبته جمرة بالهدوء والبطء، وهذا في حد ذاته له دلالاته الاجتماعية، كونها زوجة منعمة ومترفة، وهذا الوصف يعكس لنا مدى وفاء الشاعر لجمرة، فهي لا تعاني من نكد العيش ومتاعب الحياة البدوية، ومزينة بأنواع الحلي ومعطرة بالمسك والكافور، فضلا عن إترافها في غذائها وطعامها.

وكما أظهر الشاعر وفاءه لحق زوجته في إعطائها هذه الوسائل، فقد أظهر أيضا في المقابل ذلك وفاء زوجته له، كونها تتصف بالعفاف والحلم والرزانة، فهي لا تلقي بالا لأي رجل، حتى لو كان ممن يألف النساء ويألفنه لرقعة تغزله وجماله، كما أنها ترسل له ولأولادها منه التحية وتسال عما يتمولونه وما يأكلونه، وإن حالت بينهم المسافات البعيدة من البرية - مهمة - والجبال - طود - . وبهذا الغزل العفيف لجمرة، يظهر لنا شاعرنا مدى وفائه لها ولذكراها، كما تظهر كتب الاخبار حال شاعرنا عندما فارقت جمرة وعادت لرحاب زوجها الأول، مظهرا جزعه عليها جزعا شديدا، حتى خيف على عقله ومكث أياما لا يطعم و لا ينام، و بهذا يتبين وفاء شاعرنا لزوجته الاولى جمرة.

أما زوجة الشاعر الثانية دعد فقد قال فيها شعرا متغزلا، صور فيه شدة اشتياقه وولعه بها على الرغم من كبر سنه وشيخوخته التي كانت سببا لإنكارها لما أبداه من جهل المرء، فهو ما هو عليه من وقار الشيخوخة يقول فيها<sup>(10)</sup>:

أشأقنك أطلال دوارس من دعد	خلاء مغانيها كحاشية البرد
على أنها قالت عشية رزتها	هبلت ألم ينبت لذا حلمه بعدي
ألسنت بشيخ قد خطمت بلحية	فيقصر عن جهل الغرائقة المرء
وإني كما قد تعلمين لأتقي	تقاي وأعطي من تلادي للحمد

(10) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢، اشأقتك: هيجتك، المغاني: المنازل التي كانوا يغنون بها، هبلت: تكلت، الغرائقة: الفتيان.

ويقول ايضاً (11):

أهَيْمٌ بَدَعِدِ مَا حَيَيْتُ فَإِنْ أُمْتُ      فوا حزني من ذا يهيمُ بها بَعْدِي

وبهذا يظهر وفاء النمر بن تولب، أزاء زوجته جمرة ودعد- وذلك من خلال غزله بهما دون غيرهما، ومع هذا فلا بد أن لا نخفي ورود أشارات في شعر شاعرنا لأسماء أخر غير جمرة و دعد كأ م حصن، فيقول (12):

أَلَمْ بِصُحْبَتِي وَهُمْ هَجُودٌ      خَيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمَّ حِصْنِ

وكذلك ورود اسم سليمي فيقول (13):

فَقُلْتُ وَكَيْفَ صَادَتِي سُلَيْمِي      وَلَمَّا أَرَمَهَا حَتَّى رَمْتِي

ان هذه الإشارات لا يمكن ان نفسرها إلا على أنها رموز ر مَرَّ من خلالها شاعرنا على زوجة من زوجته جمرة ودعد ، ومثل هذا الصنيع قد نص عليه الكثير من الشعراء، فكان الشاعر يسمي صاحبه باسم غير اسمها، أو بكنيتها بكنية مستعارة، أو يوصفها بصفة لا تصح عن حقيقتها، وهذا ليس بغريب على النمر بن تولب الذي يدعو في موضع آخر على التكتم في ذكر اسم صاحبه، فيقول (14):

سَلَا عَنْ تَذْكُرِهِ تُكْتَمَا      وَكَانَ رَهِيناً بِهَا مُغْرَمَاً

ان ما يمكن أن نلاحظه ونستوحيه من وفاء الشاعر تجاه زوجته - جمرة ودعد - كذلك من خلال حزنه الشديد وألمه عند فقده لواحدة منهما، بسبب موت أو جأحة من الجوائح، فعندما يسمع بوفاة زوجته جمرة، ووصول خبر نعيها إليه من قبل رجل من قومه يدعى

(11) المصدر نفسه: 133.

(12) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢ .

(13) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢ .

(14) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢ .

حزام ، أظهر الشاعر عندها حزنه وتأسيه، محاولاً أن يصبر نفسه ويخفف روعها من خلال تصريحه بأن الموت حق على كل إنسان، فيقول (15):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْرَةَ جَاءَ مِنْهَا      بَيَانُ الْحَقِّ إِنْ صَدَقَ الْكَلَامُ  
نَعَاهَا بِالْبَدِيعِ لَنَا حِزَامٌ      أَحَقُّ مَا يَقُولُ لَنَا حِزَامُ  
فَلَا تَبْعُدْ وَقَدْ بَعُدَتْ وَأَجْدَى      عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَهَا الْعَمَامُ

ومن هنا نلاحظ ونستشف مدى وفاء شاعرنا لزوجته جمره، إذ يحترم ذكرها، ويأسف على فراقها في مجتمع عماد نظامه سواعد الذكور .

أما وفاء الشاعر لأخوته، فقد جاء ظاهراً صريحاً في شعره، فشاعرنا يدعو زوجته ويوصيها دائماً، بأنه إذ ما جاء إخوته إليه يوماً، عليها أن تحسن إليهم وتكرمهم، وبأن تتركهم يتعللوا ويلهوا معه، وذلك لأن الموت حق ولا بد يوماً أن يفرق بينه وبينهم، فيقول (16):

وَإِذَا أَتَانِي إِخْوَتِي فَادْعِيهِمْ      يَتَعَلَّلُوا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَلْهُوا مَعِي  
لَا تَطْرُدِيهِمْ عَن فِرَاشِي إِنَّهُ      لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سَيَخْلُو مَضْجَعِي

ووفاء الشاعر لا يتوقف عند إخوته في حياتهم، بل حتى عند وفاة أحد منهم، فعندما مات أخوه الحارث بن تولب، أظهر الشاعر حزنه الشديد لفراقه، داعياً له بالسقيا، سائراً في ذلك على سنة القدماء وسالكا مسالكهم في استسقاء المطر، فيقول (17):

لَا زَالَ صَوْبٌ مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ      يَجُودُ عَلَى حِسِّي الْعَمِيمِ فَيُنْزِبُ  
فَوَ اللَّهُ مَا أَسْقِي الْبِلَادَ لِحُبِّهَا      وَلَكِنَّمَا أَسْقِيكَ حَارِ بْنَ تَوْلِبِ

(15) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢ .

(16) شعر النمر بن تولب: ٥١ - ٥٢ .

(17) النمر بن تولب: ٤٢ - ٤٣، يترب: أرض بني سعد، الفلج: النهر، من بطن دجلة: أي من سعة دجلة.



تَصَمَّمْتِ أَدْوَاءَ الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا  
وَأَنْتِ عَلَى أَعْوَادِ نَعَشٍ مُقَلَّبِ  
كَأَنَّ امْرَأً فِي النَّاسِ كُنْتَ ابْنَ أُمِّهِ  
عَلَى فَلَاحٍ مِنْ بَطْنِ دِجْلَةَ مُطْنَبِ

فالشاعر من خلال هذه الأبيات وبعد أن أستسقى لأخيه المطر، أظهر قيمة أخيه الاجتماعية والقبلية حيا وميتا فهو ضامن لأدواء العشرة حتى وهو على أعواد نعشه، فهو ذو أثر اجتماعي كبير وواسع، رعايته شاملة لكل الناس كما لو أنهم (ابن أمه).

كما أن شاعرنا رثى إخوة له آخرين في أبيات أخرى، مبينا من خلالها الأماكن التي حوت إخوته الشجعان الكرماء، كما بين كذلك حزنه و دعواه، والذي يراه بلا جدوى، محاولا بذلك التنفيس وأجلاء الكرب والحزن عن نفسه، فيقول (18):

بَيْنَ الْبَدِيِّ وَبَيْنَ بُزْقَةَ ضَاكِ  
وَمَقَابِرَ بَيْنَ الرُّسَيْسِ وَعَاقِلِ  
جَزَعًا جَزَعْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ  
لَا تَتَّبَعُوا وَغَدَاً السَّلَامُ عَلَيكُمْ  
غَوْتُ اللَّهَيْفَ وَفَارِسَ مُقَدَّامُ  
دَرَسْتُ وَفِيهَا مُنْجِبُونَ كِرَامُ  
لَوْ يَسْمَعُونَ وَكَيْفَ تُدْعَى الْهَامُ  
وَسَرَى فَقَدْ يَنْقَرُّ الْأَقْوَامُ  
فَإِذَا انْتَبَهْتُ إِذَا هِيَ الْأَحْلَامُ  
فَأَبَيْتُ مَسْرُورًا بِرُؤْيَا مَنْ أَرَى

ان حضور الأخوة صار هاجسا لا يفارق الشاعر حتى اختلط لديه الواقع بالحلم، فكل من غيبه الموت من أخوته حاضر في روحه، فهم الغائبون الحاضرون، فالشاعر من شدة شوقه وحبه ووفائه لهم، يستحضرهم في مخيلته فيحلم بهم، فيهنأ بصحبهم ويسر برؤيتهم، ولكن هيهات إنه الحلم الذي سرعان ما ينكفي ويعود إلى الواقع. وهذا كله إن دل على شيء فهو يدل على شدة تعلق الشاعر بإخوته وإخلاصه ووفائه لهم.

ووفاء الشاعر لم يقتصر على زوجته وإخوته ، فهو وفي لأقاربه وحتى لجاره الذي أضحت داره بعيدة عن منزله، فيقول (19):

(18) المصدر نفسه: ٩٨، البدي: وأد لبني عامر، غوث اللهيف: الذي يغيب المضطر، الرسيس: ماء وقيل واد بقرب عاقل.

لا يعلّم اللامعات اللامحات ضحى      ماتحت كشحي ولايعلّمن أسراري  
ولا أخون ابن عمي في حليلته      ولا البعيد نوى عني ولا جاري  
حتى يقال إذا وريث في جدتي      لقد مضى نمر عار من العار

فالشاعر مأخوذ بالوفاء فهو يخشى العار، ولذلك يحسب أنفاسه ويعد دقائق قلبه متمسكا بقيم الرجولة التي يحسب حساب ما بعد الموت وذلك ليخلد ذكره، فالأنا هنا أنا متدبره واعية زمام أردادها فجعل السمو عنوان حياتها ومماتها، لذلك نجد صورة (الأنا) عنده صورة شخصية وفيه متمثلة بعدم الخيانة لابن العم في زوجته، فضلا عن عدم خيانة ومرادة زوجه جاره الذي داره بعيد عنه، وهذا في حد ذاته يظهر مدى وفاء شاعرنا واحترمه وإخلاصه النية للأقارب والجار، ليحقق ما يريد من أن يقال له في المستقبل، ولأسيما بعد موته أنه قد مضى ومات وهو عار أي خال من الغدر والخيانة.

هكذا صار الوفاء خط الشروع لديه في علاقاته كافة، فمن صور وفائه لمجمعه وإخلاصه للقيم الأصلية التي تمثله، من كرم و فروسية ومرورة، والذي جاء في شعره ظاهرا جليا، ويتضح هذا الوفاء من خلال موقفه، حينما دعاه ابنه ربيعة بأن يهاجر معه إلى المدينة - الكوفة-، وأن يترك البادية، فكان موقفه لافتا للنظر، كونه قد ألف عيش البادية ألفا يجعله ينفر من طلب ابنه ربيعة، فالعيش في المدينة فيه مغامرة كبيرة لمعظم ما تعود في البادية، فيعبر عن حقيقة طلب ابنه من خلال دعوته لربه العلي، فيقول<sup>(20)</sup>:

أعدني رب من حصرٍ وعي      ومن نفسٍ أعالجها عِلجا  
ومن حاجاتٍ نفسي فأعصمي      فإن لمضمرات النفس حاجا  
وأنت وليها وبرئت منها      إليك وما قصيت فلا خلجا

إن ما يمكن أن نلاحظه من دعاء واستعاذة شاعرنا، هو إظهاره طلب ابنه بانه وسوست النفس الأمانة بالسوء، فهو يدعو ربه بعد أن يسلم لسانه من العي والحصر، أن

(19) النمر بن تولب: ٦٦، الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع، حليلة الرجل: امرأته، الجذث: القبر.

(20) النمر بن تولب: ٦٦ .

يحفظه من النفس الأمانة بالسوء، وما توسوس لصاحبها من حاجات خفية وظاهرة، فيعلن الشاعر براءته من هذه النفس الأمانة بالسوء وما يلحقها من وسواس، ويحيل أمرها إلى خالقها وبارئها<sup>(21)</sup>، ولا شك أن أثر الإسلام، في هذه الأبيات واضح جلي، فهي تعبر عن مدى إيمان الشاعر وتفقهه في الدين وهو ينهل من معين الصور القرآنية ومعانيه ودلالاته.

ثم يأتي الشاعر ليعبر عن وفائه لمجتمعه وذلك من خلال رفضه لدعوة ابنه تصريحاً لا تلميحاً، فيأتي بالأدلة والبراهين العقلية وذلك من خلال إجراء المقارنة والمقابلة بين مجتمعي البادية والذي رمز لها بالابن والفرس، والمدينة التي رمز لها بالدجاج، فيقول<sup>(22)</sup>:

وأنت وهبتها كوماً جِلاداً	أرَجِي النَّسْلَ مِنْهَا وَالتَّجَا
فَلَسْتُ بِحَارِمِ الْأُضْيَافِ مِنْهَا	وَجَاعِلِ دُونَهُمْ بَابِي رِتَاجَا
وَتَأْمُرُنِي رَبِيعَةً كُلَّ يَوْمٍ	لَأَشْرِيهَا وَأَقْتَبِي الدَّجَاجَا
وَمَا تُغْنِي الدَّجَاجَ الضَّيْفَ عَنِّي	وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نَضَاجَا
أَأَهْلِكُهَا وَقَدْ لَا قَيْتُ فِيهَا	مِرَارَ الطَّغْنِ وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا
وَتَذْهَبُ بَاطِلًا عَدَاوَتُ صُهْبِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ تَخْتَلِجُ أَخْتِلَاجَا
جَمُومِ الشَّدِّ شَائِلَةَ الذَّنَابِي	تَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجَا
وَشِدِّي فِي الْكَرْيَةِ كُلَّ يَوْمٍ	إِذَا الْأَصْوَاتُ خَالَطَتِ الْعَجَاجَا

إن الشاعر يأتي بالمسوغات التي ترفض فكرة ابنه التي فحواها أن يبيع ما وهبه الله إياه من إبل ليشترى الدجاج، ويعني هذا عند الشاعر إبدال البادية وما تحمله من قيم بالمدينة، وهذا يعني في حد ذاته حرمان الضيف من الكرم، كون الدجاج لا تغني الضيف عند الشاعر، و بالتالي تخليه عن قيمة أصيلة من قيم البادية ألا وهي قيمة الكرم.

(21) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام دراسة فكرية فنية - علي كمال الدين الفهادي،

أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠: ٧٣.

(22) شعر النمر بن تولب: ٤٦ - ٤٨، الكوم: جمع كوماً وهي الناقة العالية السنام، الجلاذ:

الصلاب الكبار، لأشربها: لأبيعها، شائلة الذنابي: يعني أنها ترفع ذنبها عند العدو.

كما أن الشاعر يرفض هذا الإبدال، وذلك لأن حصوله على هذه الإبل لم يكن بسهولة، بل عرض حياته للموت من أجل كسبها والحصول عليها، فهو لم يخاطر بنفسه لكي يبيعهها ويشتري الدجاج، إنما ليجود بها من أجل الآخرين، فالشاعر يرى حصول هذا الإبدال هو ذهاب غدوات فرسه على الأعداء باطلاً، وهذا يعني تخليه عن قيمة أخرى من قيم البداوة ألا وهي الفروسية.

وبهذا يرسم النمر بن تولب موقفه تجاه طلب ابنه ربيعة، فيظهر من خلاله مدى وفائه والتصاقه بمجتمعه البدوي وبقيمه الأصيلة.

ومما يدل على تسامي الرجل وشدة تمسكه بالوفاء والإخلاص لكل شيء، فهو سلوك لا يمكن التخلص منه، هو وفاؤه حتى في تبليغه لدينه الجديد، الذي أعتقه بعد رحلة شاقة قام بها قاصدا النبي محمد (ﷺ)، فيقول<sup>(23)</sup>:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ  
نَقُودُ خَيْلًا ضُمًّا فِيهَا ضَرَزُ  
نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ  
وَالْحَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ عَسَزُ  
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ عِنْدِي خَبَزُ  
اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ هَذَا الْقَمَزُ  
وَالشَّمْسُ وَالشَّعْرَى وَآيَاتُ أَخَزُ

فالشاعر هنا قد اعتمد في تبليغه لهذه الأمانة التي يراها قد أنيطت على عاتقه، بالوقوف على معالم الطبيعة في السماء، من شمس و قمر ونجوم ومعالم أخر لم يصرح بها، وذلك ليبين من خلالها وجود الله تعالى وعظمة خالقها. ولو أخذنا الشرط الذي تقرد به أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني دون غيره في روايته له، وهو قوله<sup>(24)</sup>:

(23) شعر النمر بن تولب: ٦٩.

(24) الأغاني: ٢٢ / ٢٧٩.

أَن الشاعِر يدعو قومَه بالسُّمو مَن يتسامَ بِالهَدَى فالخبثُ شَرُّ

والافتخار والاهتداء بهذا الدين الجديد، ويحذرهـم إن لم يؤمنوا به وينقادوا له  
فذلك خبث وشر لهما<sup>(25)</sup>، فمن خلال دعوة الشاعر قومه للأيمان بهذا الدين الجديد،  
نستشف وفاءه السريع لتأدية هذه الأمانة العظيمة التي يرى أنه قد كلف بها.

فكما وجدنا الشاعر وفيما لإبله كونه لا يبدلها بالدجاج، كذلك يأتي وفاؤه لها من خلال  
تصويره لحاله وهو يتتبع لهذه الإبل المرعى الخصب حتى تبدوا هذه الإبل سميئة قوية،  
فيقول<sup>(26)</sup>:

ففي جِسْمِ راعيها هُزالٌ وشُحْبَةٌ      وضُرٌّ وما مِن قِلَّةِ اللَّحْمِ يُهزَلُ

لقد أظهر شاعرنا جسم صاحب هذه الإبل الذي هو معادل موضوعي له، على أنه  
ضعيف البنية هزيل شاحب اللون لا لحم عليه، ولكن هذا الضعف كما بينه الشاعر ليس  
سببه قلة الأكل، فالأكل وفير، و لكن لعل قلة الراحة التي فقدها هذا الراعي الوفي، بسبب  
تتبع لهذه الإبل الأرض الخصبة، وعدم الغفلة عنها، وراء هذا الضعف للراعي بعكس إبله  
التي قد جاء وصفها قبل هذا البيت، وذلك بأنها تأكل وتسمن حتى تظاهر شحمها،  
وأصبحت عالية السنام قد طويت بالشحم، فيقول<sup>(27)</sup>:

وَحُمُرٌ تَرَاهَا بِالْفَنَاءِ كَأَنَّهَا      دُرًّا كُثْبٌ قَدْ مَسَّهَا الطَّلُّ تَهْطَلُ  
عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْنِ عَتِيقٌ وَمَوْرَةٌ      مِنْ الحَزَنِ كَلًّا بِالْمَرَاتِعِ يَأْكُلُ  
فَقَدْ سَمِنَتْ حَتَّى تَظَاهَرَ نَيْهَا      فَلَيْسَ عَلَيْهَا لِلرَّوَادِفِ مِحْمَلُ

(25) ينظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام دراسة فكرية فنية، أطروحة دكتوراه: ٢٠٤.

(26) شعر النمر بن تولب: ٩٢.

(27) شعر النمر بن تولب: ٩١، العتيق: الشحم، المورد: ما نسل من عقيقة الجحش وصوف الشاة،  
الني: الشحم.

إن الوفاء ودم الخيانة في شعر شاعرنا لا ينحصر في أفعاله وسمات شخصيته، بل يتعدى ذلك ولاسيما في توصية الآخر في هذه القضية الكبرى، فالشاعر يوصي الفتى العربي وصية الحكيم الذي له تجربة بالحياة - كونه عاش على أقرب تقدير مأتي سنة - بأن يكون وفيًا وأن لا يخون ولا يائثم، فيقول<sup>(28)</sup>:

فَأَوْصِيَ الْفَتَى بِابْتِئَاءِ الْعُلَى  
وَأَنْ لَا يَخُونَنَّ وَلَا يَأْتَمَّ

كما أنه يوصي زوجته بالوفاء بحقه، بعد أن رآها قد أبدت جزعا شديدا على إثر مال أنفقه على نفر حلوا ضيوفا عليه، فهو يطلب منها بالوفاء الحقيقي، و ذلك بأن لا تجزع على فقد المال الذي يذهب ويأتي، ولتجزع عند فقدها لزوجها الذي يجلب هذا المال، فيقول<sup>(29)</sup>:

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفَسًا أَهْلَكْتُهُ  
وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي

وينظر الشاعر إلى مجتمعه الجديد، فيرى أنهم قد استحدثوا أخلاقا جديدة لم تعرف من قبل، إنه يرى نظرتهم إلى الأشياء قد تغيرت عما كانت عليه في السابق، فيقول<sup>(30)</sup>:

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شَيْمَةً  
وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرُ  
يُهَيُّنُونَ مَنْ حَقَرُوا سَبِيهَ  
وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ فِي يَوْمٍ أَوْ يَبْرُ

فمن ضمن ما أحدثه هذا المجتمع كما يرى الشاعر هو " يهينون من قل سبيه، وإن كان برا وفيًا، وقد كان فيما مضى أنه إذا كان الرجل وفيًا أكرم وسود، وإن كان معدما<sup>(31)</sup> لا مال له.

(28) المصدر نفسه: 100.

(29) المصدر نفسه: 72.

(30) المصدر نفسه: 56، شيمة: الخلق، يؤتمر: يحدث التشاور والتداول الآراء والجدل.

(31) المصدر نفسه: 58.

ولما خدعت جمره زوجها الثاني - النمر بن تولب - كما تذكر المصادر " قالت له في بعض أيامها أزرني أهلي فإني قد اشتقت إليهم فقال لها أني أخاف أن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك فواتقته لترجعن إليه فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد فلما أطل على الحي تركته و اقفا وانصرفت إلى منزل بعلمها الأول فمكثت طويلا فلم ترجع إليه فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف وقال (32):

جَزَى اللهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابْنَةَ نَوْفَلٍ  
لَهَانَ عَلَيْهَا أَمْسٍ مَوْقِفُ رَاكِبٍ  
وَقَدْ سَأَلْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا  
وَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ فِنَاعِهَا  
جَزَاءَ مُغَلٍّ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ  
إِلَى جَانِبِ السَّرْحَاتِ أَحْيَبِ خَائِبٍ  
عَلَيَّ وَقَدْ أَبْلَيْتُهَا فِي النَّوَابِ  
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ

وقال ذاما لخيانتها والنساء عامة أيضا: (33)

وَكُلُّ خَائِلٍ عَلَيْهِ الرَّعَا  
وَقَامَتْ إِلَيَّ فَأَحْلَفْنَاهَا  
بِأَنْ لَا أُحُونَكَ فِيمَا عَلِمْتَ  
تُ وَالْحُبْلَاثُ كَدُوبٌ مَلِيقٌ  
بِهَذِي قَلَائِدُهُ تَحْتَتِيقٌ  
فَلِإِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ الْخُلُقِ

إن نظرة متأنية لهاتين المقطوعتين، في مقابل ما تذكره الأخبار عن حكاية خداع زوجة الشاعر جمره له، وعودتها لرحاب كنف زوجها الأول، خارقة بذلك العهد الذي قطعه معه، بان لا تخونه و لا تترك أولادها منه، فلو أجرينا هذه المقابلة لتبين لنا أن الشاعر وعلى الرغم من هذا الخداع من قبل زوجته له، فإنه لا يقف موقفا صارما وواضحا من هذا الخداع، ترى ما السبب في ذلك ؟ لعل السبب في ذلك أمرين لا ثالث لهما، الأول هو حبه لها فضلا عن ذلك وفأوه لحقها، كونها أم لأولاد منه، وأنها عاشت

(32) الأغاني: ٢٢/٢٧٨. وشعر النمر بن تولب: ٣٨.

(33) شعر النمر بن تولب: ٧٩.

معه حياة ليست بالقصيرة أحبها خلالها كثيرا وتعلق بها، ويدلل على ذلك ورود اسمها في قصائده ومقطوعاته (34).

أما الامر الثاني وهو أن في مقابل هذا الوفاء من الشاعر لزوجته جمرة، فإن جمرة لم تتركه كارهة له، بل تركته امتثالا ووفاء لقيم اجتماعية تحتم عليها ذلك، كونها قد تزوجت من النمر بن تولب زواج ما يسمى بالأخيذة إذ كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب وكان سيدا معظما فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل فوهبها لأخيه النمر بن تولب فبركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولادا (35) ولكن على الرغم من استقرارها في كنف النمر، وحسن معشارته لها وشدة تعلقه بها، فإنها تتقرب الفرصة المناسبة للرجوع لزوجها الأول، وفاء منها للقيم الاجتماعية التي طالما تدفعها في اتجاه تركه والرجوع لزوجها الأول، لا كرها للنمر بن تولب، وهذا ما يتضح من خلال البيت الاخير من المقطوعة الأولى، والذي يبين فيه الشاعر حيرة زوجته جمرة عندما تركته، اذ يقول (36):

وَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَّ قِنَاعِهَا      بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

فموقف شاعرنا من خداع زوجته لا يخفي مدى تعلقه بها ووفائه لها فهي كالشمس، كما هي في المقابل وعلى الرغم من خداعها له، لا تنفي حبها وميلها و وفاءها للشاعر، فهي تريبه بعض جمالها لأنها تحبه وتخفي عنه البعض الآخر لأنها أقدمت على فراقه .  
ويظهر لنا الشاعر في معرض كلامه عن الشباب والشيب، عتابه على أزواجه اللواتي بدأن يسوفن في احترامه و تقديره، كونه قد علاه الشيب، فيتهمهن بالجهل، وإخلاف عهود المودة والوصال التي كانت بينهم، فيقول (37):

وَأُضْبَحْتُ قَدْ أَعْرَضْنَ عَنِّي وَسُوْنَنِي      وَأَخْلَفَنِي عَهْدُ الْخَلِيلِ الْمُطَاطِلِ

(34) ينظر: بداية هذا المبحث.

(35) الأغاني: ٢٢ / ٢٧٨.

(36) شعر النمر بن تولب: 38.

(37) المصدر نفسه: 96.



أَلَا إِنَّ شَيْبَ الرَّأْسِ لَيْسَ بِأَقَّةٍ      تُضَيِّرُكَ إِلَّا فِي النَّسَاءِ الْجَوَاهِلِ

ويشير الشاعر إلى نزاع جرى بينه وبين صديق له اسمه وهب من ربيعة على بئر ماء اسمه الدحول، وكان الشاعر قد سقا وهب فلم يشكر له، فقال فيه<sup>(38)</sup>:

يُرِيدُ خِيَانَتِي وَهَبٌّ وَأَرْجُو      مِنْ اللَّهِ الْبِرَاءَةَ وَالْأَمَانَا  
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا      وَيَعْلَمُ أَنْ سَنَلْقَاهُ كِلَانَا  
وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهَبٍ      كَرَّاعِي الْبَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا  
وَلَكِنَّ الدَّخُولَ إِذَا آتَاهَا      عَجَافُ الْمَالِ تَتْرُكُهُ سِمَانَا

فيظهر الشاعر من خلال هذا النزاع، حرصه الشديد على الأمانة والوفاء في تأديتها، ذاما بذلك خيانة وهب له، وجاعلا الله حكما في الفصل بينه وبين صديقه يوم الحشر، ومؤكدا أن خيانة وهب له تمثل خيانة ربيعة كلها .

ويصرح شاعرنا بعدم اعتزازه بأخواله بني سعد، كونهم متسمين بالغدر والخيانة التي تتناف مع سلوكه وسلوك أعمامه، فيقول<sup>(39)</sup>:

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمَّكَ مِنْهُمْ      غَرِيبًا فَلَا يَغْرُزُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ  
فَإِنَّ ابْنَ أَخْتِ الْقَوْمِ مُصْغَىٰ إِنَاؤُهُ      إِذَا لَمْ يُزَاحَمْ خَالَهُ بِأَبِ جَلْدٍ  
إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ      إِلَى الْعَدْرِ أَدْنَىٰ مَنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ  
فَإِنَّ تَكَّ أَثَوَابِي تَمَرَّقَنَ عَنِ بَلَىٰ      فَإِنِّي كَنْصَلِ السَّيْفِ فِي خَلْقِ الْغَمْدِ

فالشاعر يجعل الغدر والخيانة لازمة لأخواله قديمة فيهم، وأنها أقرب لشيوخهم من شبابهم، ويشير إلى أن الإنسان بجوهره وسمو معدنه، لا بشكله ومظهره الخارجي، وهو بهذا يريد أن يبين رفعة أصله ويفخر بنفسه على عكس أخواله، إذ يبقى الشاعر وفيًا لأخلاقه متمسكا بوفائه، لا يعذر من يخون، ولا يحابي من يشد عن السلوك السليم كما

(38)المصدر نفسه: 122.

(39) النمر بن تولب: 125-126، اصغيت الاناء: اي نقصه، كيسان: اسم للغدر.

يراه، حتى وإن كان أقرب الناس إليه وأخصهم قرابة، ومن هنا كان موقفه مع أخواله، معلنا براءته منهم وبقاء جلده من قرابتهم، وما وراء ذلك إلا بسبب عدم وفائهم لعهودهم وخيانتهم التي جعلته لا يرتدع عن معاتبتهم والتبرؤ منهم .

### الكرم والبخل :

ان الكرم صفة خلقية عرفها العربي وتمسك بها كثيراً، حتى وصل الى درجة الافتخار بها، ويعرف الكرم بأنه انتصار على شح النفس، وبذل للمعروف في كل وجه وكل وقت، لا يُعجب ضعاف النفوس، لخشيتهم الفقر، فالضيف بطبيعة الحال له مكانة عند العربي، لذلك وجب احترامه وتقديره واعطائه حقوق الضيافة، حتى ابّن الشعراء من مات وهو يتمتع بهذه الصفة الكريمة، لأنه يخلد ذكره. ومن خلال حديثه عن صراع يجري بين وجهتي نظر مختلفتين، بين الشاعر وزوجته العاذلة وأخيه المعاتب وابنه الطالب للدعة و الراحة، وكذلك يظهر الشاعر من خلال صراع آخر داخل النفس الواحدة، فضلاً عن أمور أخرى اعتمد عليها الشاعر، التي سنتطرق اليها في ثنيات هذا المبحث ان شاء الله .

فالشاعر يصور زوجته، على أنها تمثل التيار المخالف له و لقيمة الكرم، إنه الحرص الذي يدعو الشاعر إلى إمساك ماله وعدم إنفاقه على الآخرين، إنها امرأة تلوم وتعذل زوجها على إنفاقه وبذل ماله للفقراء والمساكين، وهذا اللوم يتكرر دائماً من زوجة الشاعر فيما بعد، ترى ماذا عساه أن يفعل كي يحد من عدلها ولومها، وما الطريق إلى أبقاعها ؟ إن الشاعر ينهج كل أساليب الإقناع لكي يغير نظرتها تجاه الكرم، فيقول<sup>(40)</sup>:

أَعَاذِلْ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ      بَعِيداً نَأْيِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي  
تَرِي أَنَّ مَا أُنْبَيْتُ لَمْ أَكْ رَبَّهُ      وَأَنَّ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي

(40) شعر النمر بن تولب: 39-40. وينظر الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية، زيد بن محمد بن غانم الجهني، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط1 1425م، 404. وينظر شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب احمد رومية، عالم المعرفة ، الكويت، 1996م، 291.

يخاطب الشاعر عاذلته في هذين البيتين من أجل أن يستميل ودها ويحد من عدلها، فالشاعر هنا يصور حاله لزوجته في المستقبل المحتوم إنه الموت، فكلمة (صداي) جاءت معبرة عنه والذي سيجعل الشاعر عندها بعيدا عن الاصحاب والأقارب، حينها لا يراعى مالا، بل إن نصيبه ما أنفقه على الآخرين، فالشاعر يؤمن بأن ما بذله من الخير فهو له، ومن نصيبه، أما ما تبقى فليس بصاحب له .

وهذه النظرة متأثرة بحديث النبي (ﷺ) كما روي عن عائشة - رضي الله عنها - إنهم ذبحوا شاة، فقال النبي (ﷺ): «ما بقي منها ؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: «بقي كلها غير كتفها»<sup>(41)</sup>، فالذي بقي هو الذي ضاع، ولكن الذي تصدق به فهو الباقي عند الله .

ولم يكتف الشاعر بهذه الحكمة الرائعة فحسب بل يسوق مثلا بقصة ذات عبرة في أن المال معار والأحوال في تبدل، فغني اليوم قد يفقر غدا، وما كان عامرا اليوم سوف ياتيه يوم يهدم ويندرس، فعلام الحرص على هذه الحياة التي لا بد أن تزول يوما، فيقول<sup>(42)</sup>:

وذي إبلٍ يسعى ويحسبها له      أخي نصبٍ في سقيها ودؤوبٍ  
غدت وغدا رب سواه يسوقها      وبذل أخجاراً وحال قليب

أن الشاعر يريد أن يقنع زوجته العاذلة من خلال هذه القصة الشبيهة بالواقع، فيبين لها أن هذه الإبل التي قد تعب واجتهد في رعايتها اجتهدا شديدا في إطعامها وسقيها وتمريضها وحمايتها وحلبها حتى صار أخوا للنصب والشدة - الدؤوب - من رعايته لها، وكل هذه المشقة لتكون الإبل في ما بعد لغيره من الورثة، فعلام العذل واللوم على فعل الكرم .

(41) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٤/٦٤٤ .

(42) شعر النمر بن تولب: ٤٠ - ٤١ .

لذلك يرى الشاعر أن على الكريم أن يظل جوادا وهوبا - بصيغتها المبالغة - بماله على الآخرين، وذلك بما تسعى يده، حتى وإن حلت به المصائب، فهو يهب ويعطي كل ما يستطيع أن يهبه، فيقول<sup>(43)</sup>:

وكأئن رأينا من كريم مُرَرًا      أخي ثقةٍ طلقَ اليدين وهوبًا

ولما رأى الشاعر إصرار زوجته على العذل واللوم، وعدم تغير نظرتها تجاه فعل الكرم، يأتي تقيده لها ولفعلها، واصفا عذلها وخطابها له بالقبح وأنه ليس صوابا، فيقول<sup>(44)</sup>:

وقالت ألا فاسمع نعطك بحُطبةٍ      فقلت سَمِعنا فأنطقي وأصيني  
فلن تنطقي حقاً ولست بأهله      فقُحيت ممّا قائلٍ وخطيب

كما أن الشاعر تعرض للوم زوجته على إثر إضافته قوما في الجاهلية، فعقر لهم أربع قلائص، واشترى لهم زق خمر، فأبدت زوجته جزعا شديدا من هذا الفعل خشية على نفسها وعيالها الفقر والعوز، وبهذا لفتت نظر زوجها، فانبرى يخفف جزعها وخوفها من الفقر، فيقول<sup>(45)</sup>:

قالت لئُعذني من الليل أسمع      سَفهاً تبيئك الملامة فاهجعي  
لا تعجلي لعدٍ وأمرُ عدٍ له      أتَعجلين الشرَّ ما لم تُمنعي  
قامت تُبكي أن سبأت لفتية      زقاً وخابيةً بعودٍ مُقطع  
لا تجزعي إن مُنفساً أهلكته      وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي  
وقريت في مقرى قلائص أربعاً      وقريت بعَد قري قلائص أربع  
أنتكيا من كل شيءٍ هيين      سَفَةً بكاء العين ما لم تدمع

(43) المصدر نفسه: ٤١.

(44) المصدر نفسه: 43.

(45) المصدر نفسه: ٧١ - ٧٣، السفه: خفة العقل، الخابية: الجرة العظيمة، العود: المسن من الإبل، المقطع: البعير الذي قطع عن الضرب، المنفس: المال النفيس، قريت الضيف: أضفته، القلائص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

أن الشاعر يشير إلى وقت عتاب زوجته له، وهو وقت الليل الذي يكون فيه الزوج بحاجة للزوجة لدواعي الراحة من تعب النهار، فتستغل الزوجة هذا الوقت لتعبر عن خوفها من الفقر والعوز بسبب فعل زوجها، مظهرة حرصها الشديد على ضمان مستقبل عيالها، فينبري لها الشاعر ليخفف عنها روعها وخوفها من المستقبل المجهول ذي العوالم الغائبة، فالشاعر لا يجد لزوجه العاذلة المبرر المقنع الذي يدفعها ضد فعل الكرم الذي قد تمثل في سلوكه، لاسيما مع وجوده على قيد الحياة فهو ضمان أكيد لها ولعيالها في إيعاد شبح العوز والفقر عنهم وتوفير الحياة السعيدة كذلك، وهذا ليس ببعيد عن فارس شجاع يجلب الغنائم من وقت لآخر .

ولما رأى الشاعر عدم اقتناع زوجته لفعله، وتغير نظرتها تجاه الكرم والسخاء، حاول الشاعر أن يبحث في ذاكرته عن مثال يهتدي به يمكن من خلاله أن يقنعها ويحد من عدلها ولومها، فوجد في عادياء وبيته وفي زرقاء اليمامة - عنز - وأهلها ضالته، فيقول (46):

هَلَّا سَأَلْتِ بَعَادِيَاءَ وَبَيْتَهُ      وَالْحَلِّ وَالْحَمْرِ التِّي لَمْ تُنَمَّعْ (47)

ان الشاعر يريد أن يبين لزوجه أنه لن يبق لا هو ولا ماله مخلدا كما لم يبق عادياء وبيته على الرغم مما فيه من الغنى والجاه، أنه يقول لها: "هل سألت عن عادياء، وعن حصانة منزله، وهلا سألت أيضاً عن خيره عند أودائه، وشره عند أعدائه، كيف لم ينفعاه، فيردا عنه الموت" (48)، فعلام اللوم و العذل على فعل انكرم مادام الموت مصير

(46) شعر النمر بن تولب: ٧٣.

(47) عادياء " هو أبو السموأل اليهودي الغساني، المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، 1417هـ- 1996م. : ٥/٥١.

(48) الإختيارين، صنعه علي بن سليمان الاخفش الأصغر، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط٢، 1984م: ٢٧٠.

كل حي كما حدث بالأمم السابقة - عادياء وبيته - ثم يستطرد الشاعر ليدعم اقناعه لزوجته بتضمين شعره قصة زرقاء اليمامة، (49):

وَفَتَاتِهِمْ عَنزٍ عَشِيَّةً أَنْسَتْ  
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ  
فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوْ غُدُوَّةٍ  
كَانُوا كَأَنَّمِ مَنْ رَأَيْتِ فَأَضْبَحُوا  
وَرَأَتْ مُقَدَّمَةَ الْحَمِيسِ وَقَبْلَهُ  
قَالَتْ يَمَامَةٌ إِحْمَلُونِي قَائِمًا  
مِنْ بَعْدِ مَرَأَى فِي الْفَضَاءِ وَمَسَمَعِ  
أُضْلًا وَجَوَّ آمِنٌ لَمْ يُفْرَعِ  
صُبِحُوا بِدَيْفَانِ السِّمَامِ الْمُتَمَّعِ  
يَلُوبُونَ زَادَ الرَّاكِبِ الْمُتَمَّعِ  
رَقِصُ الرَّاكِبِ إِلَى الصَّبَاحِ بِتُبَّعِ  
إِنْ تَبَعْتُوهُ بَارِكَا بِبِي أَضْرَعِ

إن توظيف الشاعر لهذه القصة التي قد سبقه إليها شعراء آخرون وبمواقف مختلفة (50)، وذلك ليدل من خلالها على فناء الحياة وذهاب النعم، فعلى الرغم من عيت قوم زرقاء اليمامة بنعمة و خصب لكن عسر عليهم أن يزود راكبا بعد أن غزاهم أبو حسان بن تبع لأنهم لا يقدرون على ذلك (51)، فالذي استحوذ على فكرة الشاعر في هذه القصة هو تقلب حال قوم اليمامة من الغنى والجاه إلى الفقر والاستكانة بعد أن استباحهم حسان، وكذلك هو الآخر معرض لفناء امواله وتقلب حاله .

(49) شعر النمر بن تولب: ٧٤ ٧٥، عنز: هي زرقاء اليمامة وهي امرأة من طسم سباها أبو حسان بن تبع الر غزوه لقومها، وقيل أنها من جديس كانت تبصر من مسيرة ثلاث أيام، وفتاتهم: يريد طسم وجديس، وكنى عن أسمائهم، وتوهم أنهم قد عرفوا، حين أضاف عنز إليهم، الذفيان: السم القاتل، والسمام. جمع سم، والمنقع: كل ما ينقع بالماء ونحوه، تبع: أبو حسان بن تبع، الذي غزا جديس فقتلهم واستباح اليمامة.

(50) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف-القااهرة، ط٢، 1985م: 23. 25 وينظر: ديوان الأعشى، ميمون بن قيس شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، ١٩٥٠: ١٠٣.

(51) ينظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ. 1998 م: 312/1 .

وبهذا يريد الشاعر أن يبين لزوجته العاذلة أن ليس لها مبرر تستند إليه، في اللوم والعذل من فعل الكرم، ما دامت الحياة مصيرها التبدل ومآلها التقلب، كما انقلبت بقوم اليمامة.

إن الشاعر بهذا جعل من نفسه معادلا موضوعيا لبطله هذه القصة اليمامة - عنز - وذلك في الدقة والتبصر في تقدير الأمور ومحاولة الكشف عن بواطنها، فالشاعر يدعو دائما إلى ما بعد الواقع الظاهر إلى المستقبل، واكتناه بواطن الأمور، إنه يدعو لخلود اسمه وترك ذكرا طيبا وثناء حسنا يرده الناس في حياته وبعد موته من خلال فعل الكرم الذي قد تمثل في سلوكه وكيانه، بعكس زوجته التي لا تتعدى نظرتها للأشياء الوقع الظاهر، وبهذا يصدق عليها أن تكون بديلا موضوعيا لقوم اليمامة وذلك بأنهم لا يملكون القدرة على التبصر والتميز كما تملكها اليمامة - الشاعر - " فقد كانت زرقاء اليمامة ترى الجيوش خيلها ورجلها، وتحزر أعدادها من مسيرة ثلاثة أيام، وتتدر به قومها، وقد تواتر الخبر عنها بذلك، وضرب بها المثل<sup>(52)</sup>، فعندما أخبرت اليمامة قومها بما ترى من شجر يتحرك، ورجل يخصف نعله يقلب نعله-، وأن جيش الخميس - تبع يتقدم إليهم كذبها قومها، فوقع الأمر على ما أخبرت به فصبحهم أبو حسان (تبع) فقتلهم واستباح اليمامة، فكأن الشاعر يريد أن يخبر المتلقي أنه ملك القدرة على الكشف عن بواطن الأمور ما لا تملكه زوجته العاذلة .

وبهذا استطاع الشاعر أن يظهر رسوخ قيمة الكرم العربي رسوخا ثابتا في كيانه وأصلا من أصوله، من خلال تأكيده على تقلبات الأمور وأحوال الحياة، ومن خلال النظر إلى الأشياء على بصيرة وبعد نظر، أن الشاعر استطاع أن يجعل الكرم الذي قد مثل في سلوكه هو المنتصر، في مقابل البخل المدحوض الذي كانت زوجته العاذلة تمثله .

(52) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر والبيان في أعجاز القرآن، ابن ابي الأصبغ المصري ت (٦٥٤ هـ) القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م: ١ / ٦٢.

ولما خرج الشاعر بعدما كبر في إيله فسأله سائل فأعطاه فحل إيله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها فهتفت به زوجته، وواصلت تعاتبه وتلومه على فعله، ولكنه في المقابل لم يكثر بهذا اللوم والعتاب، قائلاً لها<sup>(53)</sup>:

دَعِينِي وَأْمِرِي سَأَكْفِيكِه  
وَكُونِي قَعِيدَةً بَيْتِ ضَبَاعَا  
فَأَنْتِ لَنْ تَرْتَشِدِي غَاوِيَا  
وَلَنْ تُدْرِكِي لَكَ حَظًّا مُضَاعَا

وواصل الشاعر وصف نفسه بالكرم حتى أصبح أصلاً من أصوله، واتجاهها بارزا في فكلما عاتبته زوجته على كرمه، ولامته على بذله وعطائه، زادت عنده نشوة التحدي تجاه هذا اللوم والعتاب، وقوة تقته بما يفعل وذلك لأنه يعلم أنه على صواب، فيقول<sup>(54)</sup>:

بَكَرْتِ بِاللُّومِ تَلْحَانَا  
عَلَّقْتِ لَوْ تَكْرَرُهَا  
اعْلَمِي أَنْ كُلُّ مُؤْتَمِرٍ  
مُخْطِئٍ فِي الرُّؤْيِ أَحْيَانَا  
فَإِذَا مَا لَمْ يُصِبْ رَشَدًا  
كَانَ بَعْضُ اللَّوْمِ ثُنْيَانَا  
فِي بَعِيرٍ ضَلَّ أَوْ حَانَا  
إِنَّ لَوْ ذَاكَ أَعْيَانَا

فنلاحظ من خلال هذه الأبيات شدة تمسك زوجة الشاعر بموقفها الضدي والسلبى تجاد الكرم، فهي بادرت صباحا - بكرت - تلح زوجها باللوم والعتاب في بعير قد أكرم به، فهي مصرة على أن تكون التيار المخالف للكرم، كما أن الشاعر في المقابل عازم على تغيير نظرتها تجاه هذه القيمة الاجتماعية الرفيعة، وذلك من خلال توجيه النصيحة الزوجية لها هذه المرة، والتي فحواها أن كل من يركب رأسه وهواه دون مشورة الآخرين

(53) شعر النمر بن تولب: ٧٦، قعيدة بيت الرجل: امرأة، وضباعا: اسم امرأة وقد حذفت التاء

للترخيم.

(54) المصدر نفسه: 120-121، حان البعير: هلك، المؤتمر: الذي يركب رأسه، والثنيان: الكلام المعاد

وهو من الاضداد.



الذين لهم خبرة وتجربة بالحياة يكون مخطئاً أحياناً، وعند خطئه يرميه الناس مرتين: مرة لركوبه الأمر بغير مشورة، ومرة ثانية لأنه أخطأ<sup>(55)</sup>:

فستوحي من هذا مدى صبر الشاعر، وتحليه بقدر كبير من الحكمة إزاء لوم وعدل زوجته له، والذي يحاول من خلالها أن يستوعب إصرارها وجهلها وضعف قابليتها في مواجهة هذا الخلق الرفيع الكرم- الذي قد تعالى في شعره حتى أصبح من الاتجاهات المتميزة فيه.

ولا تتوقف نصائح الشاعر تجاه الآخر اللائم و العاذل لفعل الكرم، بل يبين له أن الحق محاسبة النفس في البخل والكرم دون محاسبة الآخر، ومبينا كذلك للآخر أنه إذا أصابته جائحة من جوائح الفقر والعوز فما عليه إلا أن يطلب الزرق ليرزقه الله، فيقول<sup>(56)</sup>:

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مَالِهِ      وَعَلَى كَرَائِمٍ صُلْبٍ مَالِكٍ فَاغْضَبِ  
وَإِذَا تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَارْجُ الْغِنَى      وَإِلَى الَّذِي يُعْطِي الرِّغَائِبَ فَارْغَبِ

وعندما يكون الشاعر مدفوعاً برغبة كبيرة تجاه الكرم والعطف ورعاية الفقراء والمحتاجين، يأتي لوم وعتاب أخيه هذه المرة بدلا من زوجته، ليشكل التيار المخالف لقيمة الكرم، فأخوه يرى إنفاق الشاعر ماله على الفقراء والمحتاجين هو تضييع للمال وهدر له، فالشاعر لا يأبه بهذا الوصف واللوم ويمضي قدما في ممارسته قيمة خلقية حميدة، تسمو بصاحبها وتدعم مكانته الاجتماعية بين أفراد قومه، فيقول<sup>(57)</sup>:

يَلُومُ أَخِي عَنَى إِهْلَاكِ مَالِي      وَمَا إِنَّ غَالَهُ ظَهَرِي وَبَطْنِي  
وَلَا صَاحِبَهُ قَالًا فَيُنِيهِ      فَإِنَّ ضَيَاعَ مَالِكَ غَيْرُ مَعْنِي

(55) غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398 هـ - 1978 م: 331/1.

(56) شعر النمر بن تولب: 44 الرغبة: العطاء الكثير.

(57) المصدر نفسه: 118، 119، غاله: ذهب به وأهلكه، غير معن: غير يسير ولاهين، الضفن: الذي يجئ مع الضيف.

وَأَكْبَنُ كُلِّ مُخْتَبِطٍ فَقِيرٍ  
وَأَعْمَى وَأَعْمَى قَالَ يَوْمًا  
وَأَعْطَانِي ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْهُ  
أَقْبَى حَسْبِي بِهِ وَيَعَزُّ عَرْضِي  
يَقُولُ أَلَا أَسْتَمِعُ أَنْبُوكَ شَأْنِي  
أَغْتَنِّي لِلْأَلِهَةِ وَلَا تَدْعُنِي  
وَتَوْسِيعِي لِذِي عَجَزٍ وَضَفْنِ  
عَلَيَّ إِذَا الْحَفِيطَةُ أَدْرَكَتْنِي

فالشاعر يبين لأخيه أنه لم يهلك ماله من أجل اللباس والجماع ظهري - ولا من أجل الأكل والشرب بطني -، وأنه لم يضيع ماله في ملذات الحياة أو لسوء تدبير فيه، غير أنه يعطيه للفقراء الذين تربطه بهم قرابة و معرفة - ذوي الارحام ، فضلا عن إعطائه للسائل الذي لا تربطه به أسرة قرابة و معرفة - مختبب فقير ، إنه ينفق ماله على ذي الحقوق الذين من الواجب عليه أن يراهم و ينفق عليهم (المختبب الفقير والمسكين والأعمى والعاجز والضعف) فالشاعر يؤمن أن إنفاقه على هذه النماذج ليست مضيعة ولا مهلكة لماله، أما هو كسب، وفخر وذكر طيب وثناء حسن يردده الناس بعد موته، وبه يصون عرضه من الذم.

يؤمن كذلك أن المال لن ينفعه حين يدركه الموت، وأنه لا يرده في حال من الأحوال، فمن هنا ينبغي على كل فرد أن لا يبخل بماله، وأن لا يكون لماله قوة تصرفه عن مكارم الأخلاق والذكر الحميد بعد وفاته، وذلك لأن كرمه وجوده وعمله الصالح هو الذي يخلده لا حسبه ولا ماله، فيقول (58):

وَأَعْلَمُ أَنْ سَتُدْرِكُنِي الْمَنَايَا  
رَأَيْتُ الْمَانِعِينَ الْمَالَ يَوْمًا  
فَإِنْ لَا أَنْتَبِهَا تَتَّبَعْنِي  
مَصِيرُهُمْ لِلْإِقَاءِ فَدْفُنِ

إن الشاعر استطاع وبكل اقتدار أن يبسط الأفكار والمضامين الخلقية الحميدة التي اتسمت بها شخصيته الكريمة في مقابل البخل الذي تمثل باللوم والعتاب الذي وجه إلى الشاعر سواء من زوجته أو أخيه.

(58) شعر النمر بن تولب: ١١٩.

ويأتي الشاعر بصراع اخر بين الكرم والبخل وذلك من خلال موقفه من دعوة ابنه ربيعة في ترك البادية والذهاب معه إلى المدينة هذه المرة، فيقول<sup>(59)</sup>:

وأنت وهبتهما كوماً جِلاداً	أرجي النَّسْلَ منها والتَّاجَا
فَلَسْتُ بِحَارِمِ الأَضْيَافِ مِنْهَا	وجاعِلِ دُونَهُمْ بايِي رِتَاجَا
وتَأْمُرِنِي رَبِيعَةُ كُلَّ يَوْمٍ	لأشْرِيهَا وأفتتبي الدَّجَاجَا
وما تُعْغِي الدَّجَاجُ الصَّيْفَ عَنِّي	وليسَ بِنافِعِي إلا نِصْاجَا
أهلِكُها وَقَدْ لا قَيْتُ فِيهَا	مِرارَ الطُّعْنِ والضَّرْبِ الشَّجَاجَا
وتَذْهَبُ باطلاً غَدَاثُ صُهْبِي	على الأعداءِ تَخْتَلِجُ أختِلاجَا
جَمُومِ الشَّدِّ شائِلَةُ الذُّنَابِي	تَخالُ بِياضِ غُرَّتِها سِرَاجَا
وشدِّي في الكَرِيهَةِ كُلَّ يَوْمٍ	إذا الأَصْواتُ خالَطَتِ العَجَاجَا

إن الشاعر يجعل نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما رفضه لدعوة ابنه والتي تمثل البخل كما يراها، وإما الإعراض عنها وتثبيت قيم الجود والكرم، ترى أيهما يختار؟ أيبذل البادية التي عاش فيها بالمدينة؟ أيبيع ما وهبه الله إياه من إبل ليشتري الدجاج؟ أيهلك إبله التي لاقى فيها مزار الطعن والضرب الشجاع؟ أيذهب غدوات فرسه على الأعداء باطلاً؟ ترى ما السر وراء كل هذه الإستهجمات؟.

إنه التذليل على رفض الشاعر لدعوة ابنه، فبيع الإبل يعني عنده إهلاكها، وذلك لأنه يبيعها سيحرم ضيفه منها، ومن دم يستبدل إقراءه للضيف بالدجاج الذي لا يغني عن واجب القرى، فهو لا يبذل البادية بالمدينة، لأن هذا يعني تخليه عن فرسه، وهو فارس والفارس لا يمكن أن يستغني عن فرسه. وبهذا يرفض الشاعر دعوة ابنه ويتمسك بمجتمعه وبقيمه الاصلية التي على رأسها الكرم .

(59) المصدر نفسه: 46 - 48، الكوم: جمع كوماً وهي الناقة العالية السنام، الجلاذ: الصلاب الكبار، لأشربها: لأبيعها، شائلة الذنابي: يعني أنها ترفع ذنبها عند العدو.

إن ما يمكن أن نلاحظه في شعر شاعرنا وحتى فيما تقدم من الكلام، هو ربطه الدائم بين الكرم والفروسية، فالغزو والغارة ليست عنده وسائل للغنى وجمع المال فحسب ولكنها أيضا وسائل للبذل والعطاء واكتساب المحامد والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم الجود<sup>(60)</sup>.

فالفروسية تمثل عند الشاعر أهم الوسائل في تحصيل المال الذي يجود به فيما بعد، أن الكرم والفروسية تمثلان عند الشاعر نتائج متبادلة، فبالفروسية تجلب الغنائم التي تحقق للشاعر ما يسعى إليه من الكرم الذي يحقق له ذاته ووجوده بين أفراد قومه، ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم، كما إن ممارسة قيمة الكرم في المقابل تدفع الشاعر إلى الفروسية، والتي تؤهله أن يكون سيدا ذا شأن وفارسا مقدما تتناهبه القبيلة في مهمات كثيرة وعظيمة، فالكرم والفروسية يلتقيان عند شاعرنا دائما، ومن هنا صار لزاما علينا أن نقف عند فروسية هذا الشاعر الكريم والذي يصورها لنا من خلال دعوته للمخاطرة بالنفس في سبيل الحصول على المال، ووصفه لفروسه وسيفه، و مشاركته مع فرسان قومه في الغزو والقتال وامتيازه عنهم في رئاسته للجموع وشجاعته .

ان تمسك الشاعر بقيم الفروسية دعوة لتربية النفس واكتساب المعالي، فالشاعر يدعو الإنسان أن يختار الشجاعة والسعي في تحصيل الأموال في مقابل الجبن والقعود، وأن يكون مخاطرا بنفسه مشاركا غيره من الفرسان باعتماد الأموال والإبل، وألا يكون من أهل القعود والجلوس مع العيال وذلك لأن القعود مع العيال فعل قبيح ومذموم كونه لا يجلب الغنائم، ومن ثم لا يستطيع أن يكرم ويذهب عنه ذل البخل، فيقول<sup>(61)</sup>:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً      إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ  
فَالْمَالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ      وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحٌ

(60) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د.يوسف خليف، دار المعارف، مصر: ٣٩.

(61) شعر النمر بن تولب: ٤٩.

إن الشاعر يضع الفرد أمام خيارين، إما القعود المقرون بذل الفقر الذي يتضمن قله شأن صاحبه وبخله على الآخرين، وإما المخاطرة بالنفس في سبيل الحصول على مهابة وتجلية المال والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم .

إن الشاعر استطاع وبكل اقتدار أن يقرن المال بلفظتي التجلية والمهابة لأنه يؤدي بدوره إلى الكرم والسيادة، وبهذا أثار المتلقي إلى تقبل واستحباب هذه اللفظة وما ينطوي تحتها من معان، وفي المقابل قرن الشاعر الفقر بالذل والقبح لأنه يؤدي بدوره إلى البخل والجبن، وبهذا أضاف إلى الفقر معنى جديدا يدعو المتلقي إلى النفور، والترفع عن هذه اللفظة.

كما إنه يدعو من خلال هذين البيتين إلى عدم العجز أمام الفقر المؤدي للبخل، لأن الغنى يعطي الفرد ببذله وعطائه للمحتاجين مهابة وجلالا بين أفراد قومه ومجمعه . إن من أهم الوسائل عند الشاعر في القتال وتحصيل الأموال التي يجود ويكرم بها هي فرسه التي تدعى بصهبي، ففرس الشاعر جاءت في شعره تتصف بالسرعة والقوة، وأنها تغلب طريدها وإن كانت هذه الطريدة تريد الريح لتبرد أجوافها، فيقولاً<sup>(62)</sup>:

لَقَدْ عَدَوْتُ بِصُهْبِي وَهِيَ مُلْهَبَةٌ	إِلْهَابُهَا كَضْرَامِ النَّارِ فِي الشَّيْحِ
جَاءَتْ لِيَسْتَنْحِي يَسْرًا فَقُلْتُ لَهَا	عَلَى يَمِينِكَ إِنِّي غَيْرُ مَسْنُوحِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تُرِيدُ الرِّيحَ مُضْعِدَةً	نَحْوَ الْجَنُوبِ فَعَزَّتْهَا عَلَى الرِّيحِ
يَاوَيْلَ صُهْبِي قُبَيْلَ الرِّيحِ مُهْدَبَةٌ	بَيْنَ النَّجَادِ وَبَيْنَ الْجَزْعِ ذِي الصُّوْحِ

فقد وفق الشاعر في هذه الأبيات في إقران صفة النار ملهبة وإلهابها - بفرسه صهبي - فضلا عن تشبهها وهي تجري وراء الطريدة فوق التلال النجاد - وجوانب الوديان - الجزع - مع إثارتها الغبار، باشتعال النار في نبات سريع الاشتعال يسمى الشيح، وبهذا منح الشاعر هذه اللوحة قوة حركية تمكن من خلاها أن يظهر مدى فوة وسرعة فرسه

(62) شعر النمر بن تولب: ٥٠، الألهاب: أشد العدو، لتسنحي: أي لتمضي على يساري، تريدالريح: تستقبل الريح، وعزتها: غلبتها، الأهداب: أشد العدو، والنجاد: ما أرتفع من الأرض في غلط، والصوح: صفح الجبال وجوانبه.

صهبي ، فالشاعر يفتخر بامتلاكه مثل هذه الفرس السريعة اللحاق بالطريدة، كونها تمثل له رمزا للقوة والشجاعة المتضمنة للكرم والعطاء .

كذلك يقف الشاعر في موضع آخر وقفة قصيرة عند فرسه فيصفها بالصلاح وأنها من خيرة الخيل وأفضلها، فهي سريعة نشيطة، فيقول<sup>(63)</sup>:

لَنَا فَرَسٌ مِنْ صَالِحِ الْخَيْلِ نَبْتَعِي      عَلَيْهَا عَطَاءَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُنَحِّلُ  
يَزُدُّ عَلَيْنَا الْعَيْرَ مِنْ بَعْدِ إِفْهِهِ      بِقَرْقَرَةٍ وَالنَّقْعُ لَا يَتَزَيَّلُ

ففرس الشاعر سريعة اللحاق بالصيد، فهي تصرع الذكر من الحمر الوحشي في الأرض المستوية التي ليس فيها أشجار قبل أن ينزل الغبار الذي يثار في أرض الصراع، وهذا غاية في شدة الجري<sup>(64)</sup>، ان الشاعر مع وصفه هذا لفرسه فهو يؤمن إيماناً راسخاً بأن ما يغنمه من غزو وصيد فهو من عطاء الله، لا بسرعه جري فرسه وهذا ليس ببعيد عن مسلم حسن إسلامه رضي الله عنه .

(63) المصدر نفسه: ٩١ - 90، ينحل: يعطي، القرقرة: القاع المستوى، والنقع: الغبار .

(64) ينظر: في شرح أبيات المغني، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٦٤: 10/5 .

فشاعرنا فارس كريم يعتز بفرسه صهبي وسيفه لأنهما يعدان من أهم أدوات القتال في الغزو والصيد عنده، فيصف ضربة سيفه وصفا مفرطاً حتى عاب عليه بعض النقاد<sup>(65)</sup> لغلوه فيقول<sup>(66)</sup>.

أَبْقَى الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مِنْ نَمِرٍ      أَشْبَادَ سَيْفٍ قَدِيمٍ إِثْرُهُ بَادٍ  
تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ      بَعْدَ الذَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ وَالْهَادِي

فالشاعر يصف ضربة سيفه بأنها إن ضربت به يترك في المضروب أثراً بل يغوص في الأرض بعد الذراعين والساقين والهادي، فإذا جيء بهذا الوصف فإنما المراد منه " المثل وبلوغ النهاية في النعت"<sup>(67)</sup> وبهذا نلاحظ وبطريقة غير مباشرة قوة وشجاعة الضارب كونه فارساً مقداماً.

إن هذا الفارس يشهد مع قومه المعارك والأيام والأحداث، ويقف آثار الخصوم، ويثبت يوم الجلال<sup>(68)</sup>:

سَمُونَا لِيَشْكُرَ يَوْمَ النَّهَابِ      نَهْرُ قَنَاءَ سَمْهَرِيًّا طُولاً  
فَلَمَّا اتَّقَيْنَا وَكَانَ الْجِلَادُ      أَحْبَبُوا الْحَيَاةَ فَوَلُّوا شِلَالاً

إن الشاعر يثبت لخصمه من خلال هذه الأبيات، أن رماح فرسان قومه تتسم بالطول سمهرياً طوالاً وهذا ليس إلا ضرب من الشجاعة والأقدام، فوصف الرمح بالطول

(65) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر - القاهرة: 311، ونهاية الأرب نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط 1، 1424هـ - 2004م: 7/ 125، والآلي في شرح أمالي القالي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت 487هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط 1، 1417هـ - 1997م: 2/ 895.

(66) شعر النمر بن تولب: 53، الاسباد: البقايا، الهادي: العنق.

(67) نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: 94.

(68) شعر النمر بن تولب: 95، يشكر: قبيلة في ربيعة، السمهريّة: اسم رجل كان يقوم الرماح، الشلال: المتفرقين.

لا يراد به سوى قوة وشدة حامله، فالشاعر يفتخر بفرسان قومه، ويصف خصمهم عند ملاقاتهم أنهم يفرون خوفاً من الموت وحبا للحياة، فالشاعر يمتاز عن فرسان قومه كونه يقود الجموع، و بهذا تتضح مكانته بين أفراد قومه، فيقول (69):

وَيَوْمَ الْكُلابِ رَأْسُنَا الْجُمُوعَ      ضِراراً وَجَمَعَ بَنِي مُنْقَرِ  
كما أنه يمتاز عن فرسان قومه، وذلك بإقامته وحراسته في أماكن ينقيها الناس ويستوحشون النوم فيها لما فيها من أصوات السباع واليوم، فيقول (70):

وَمَنْهَلٍ لَا يَنَامُ الْقَوْمُ حَضْرَتَهُ      مِنْ الْمَخَافَةِ أَجْنٌ مَأْوُهُ ظَامِي  
قَدْ بَتُّ أَرْضُسُهُ وَحَدِي وَيَمْنَعُنِي      صَوْتُ السَّبَاعِ بِهِ يَضْبَحُنْ وَالْهَامِ

وعودا إلى بدء فإن الشاعر يصور صراعا آخر بين الكرم والبخل من خلال حسن ابله هذه المرة، فالشاعر يذكر زوجته بأيام كرمه بموضعي مليحة وهرار، وذلك بانه كان ينحر أحسن إيله وأجودها كثيرة اللحم عظيمة السنام صغيرة كانت أو كبيرة، فلا يمنعه حسنها وسمنها بأن يكرم بها للأخرين، فيقول (71):

هَلْ تَذْكُرِينَ جُزَيْتٍ أَحْسَنَ صَالِحٍ      أَيَّامَنَا بِمِليحةٍ فَهَرَّارِهَا  
أَزْمَانَ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلاحِهَا      إِبْلِي بِجَلَّتْهَا وَلَا أَبْكارِهَا  
ابْتَرَّهَا أَلْبَانُهَا وَلُحُومِهَا      فَأُهَيْنَ ذَاكَ لِضَيْفِهَا وَلِجارِهَا

فالشاعر لا يأبه بما تبديه إيله من حسن وسمن تقاوم بها صاحبها من أن يعقرها ويقدمها طعاما لأضيافه و لجاره، فالشاعر يفخر كذلك أن ينحر إيله لرفاقه في ليلة باردة

(69) شعر النمر بن تولب: ٦٧، منقر: بطن من تميم.

(70) المصدر نفسه: ١١٢ . ١١٣ .

(71) المصدر نفسه: ٦٢، الهرار: موضع متصل بمليحة، بجلتها: كبار الأبل، أبكارها: صغارها، ابتزها:

أجردها.



- مشمولة - يعز فيها القوت والمال فهو كريم والكريم لا يمكن أن يتخلى عن كرمه فكيف إذا اشتدت الأيام وعصبة الحال، فيقول<sup>(72)</sup>:

ولرفقة في لئلة مشمولة  
كأنوا يسيمون المخاض أممها  
ولقد شهدت إذا القдах تُحدث  
عن ذات أولية أساود ريهها  
فمنحت بدانتها رقيباً جانحاً  
كانت عقيلة ماله فأذله  
حتى إذا قسم النصيب وأصفت  
ظهرت ندامته وهان بسخطه  
نزلت بها فعدت على أسارها  
ويغرزون بها على أغبارها  
وشهدت عند الليل مؤقد نارها  
وكان لون الملح فوق شفارها  
والنار تلفح وجهه بأوارها  
عن بعض قيمتها رجاء بكارها  
يده بجلدة صرعها وخوارها  
ثيأ على مربوعها وعذارها

ان الشاعر لا يكرم الاخر في وقت السعة والغنى فحسب إنما يأتي الشاعر فيصور تلك الأيام بأنها أيام عوز وفاقة يعز فيها القوت والمال وهي أيام ليايلها باردة - ليلة مشمولة - وتترك الإبل فيها لا تحلب لمدة ثلاث أيام ويغرزون بها على أغبارها - لجذب الأرض وقلة المرعى، فالشاعر يصور حال ذلك الزمان الذي لا يكون للشخص إلا قرح واحد يرمي به والنار حول القوم مشتعلة، و ذلك كله لشدة الزمان وجذبه ووطأته على الناس، فيفوز عندها الشاعر بالجزور وهي جزور سمينه وكبيرة فينحرها ويقسمها لرفاقه ولأضيافه حتى أنه لم يبق له منها شيئاً، إن الشاعر وكما تعودنا في شعره يأتي فيصف ناقته بأحسن ما تكون كونها سمينه عظيمة السنام وفيرة اللبن، فيقول<sup>(73)</sup>:

وخمّر ترأها بالفناء كأنها  
دراً كئيب قد مسها الطل تهطل

(72) المصدر نفسه: 62-64، ليلة مشمولة: باردة، الأسار: الحبل، الاغبار: بقية اللبن، المخاض: الحوامل من النوق، عقيلة ماله: أكرمه، أصفت يداه: أي صادفته ووافقت، مربوعها وعذارها: الضرع والجنين.

(73) شعر النمر بن تولب: 91، العتيق: الشحم، المورد: ما نسل من عقيقة الجحش وصوف الشاة، الني: الشحم.

عَلَيْهَا مِنْ الدَّهْنَا عَتِيقٌ وَمَوْرَةٌ      مِّنَ الحَزَنِ كَلًّا بِالمَرَاتِعِ يَأْكُلُ  
فَقَدْ سَمِنَتْ حَتَّى تَظَاهَرَ نَيُّْهَا      فَلَيْسَ عَلَيْهَا لِلرَّوَادِفِ مِحْمَلُ

ثم يأتي الشاعر بوصفه لراعي هذه الإبل بأنه هزيل وضعيف شاحب الجسم على عكس وصف إبله، ويبين الشاعر أن هذا الضعف ليس من قلة الطعام والفقر والدليل امتلاكه هذه الإبل التي تعد من أهم مقومات الحياة البدوية، فيقول (74):

فَفِي جِسْمِ رَاعِيهَا هُزَالٌ وَشُحْبَةٌ      وَضَرٌّ وَمَا مِنْ قَلَّةِ اللَّحْمِ يُهْزَلُ

أن هذا الضعف في جسم الراعي والذي هو بديل موضوعي للشاعر ليس له سبب إلا الكرم على الآخرين، فضلا عن تتبع الأرض الخصبة لإبله، فيقول (75):

فَلَا الجَارَةَ الدُّنْيَا لَهَا تَلْحِيئُهَا      وَلَا الضَّيْفَ فِيهَا إِنْ أَنَاخَ مَحُولُ  
إِذَا هَتَكَتْ أَطْنَابَ بَيْتٍ وَأَهْلُهُ      بِمَعِظِنِهَا لَمْ يُورِدُوا المَاءَ قَيَّلُوا  
عَلَيْهِنَّ يَوْمَ الوَرْدِ حَقٌّ وَذِمَّةٌ      وَهِنَّ غَدَاةُ الغِبِّ عِنْدَكَ حُفْلُ  
وَأَقْمَعْنَا فِيهَا الوِطَابَ وَحَوْلْنَا      بِيُوتَ عَلَيْهَا كُلُّهَا فُوهُ مُقْبَلُ

فالراعي - الشاعر - لا يبخل باللبان نياقه على بيوت الجي الذين لا إيل لهم، ويبين الشاعر أن على الإبل يوم وردها حق و هو أن يسق من لبنها من حضر وردها، ويبين كذلك أنه لم يملا السقاء الذي يجعل فيه اللبن ليغلقه كون بيوت جيرانه تحيط به كالأفواه، فهو مفتوح لهم لا يمنعون منه أبدا.

وشأن شاعرنا في تفسيره الكرم والبخل شأن المفكرين والفلاسفة الذين يؤكدون أن الإنسان تتمثل فيه نفسان، نفس تأمره بالكرم، ونفس تأمره بالبخل (76) أو هذا التفسير جاء عند الشاعر نتيجة لحديث جرى بينه وبين صديق له قد سبق أن سأله عن دية احتملها

(74) المصدر نفسه: 92.

(75) شعر النمر بن تولب: 92 - 93.

(76) شعر النمر بن تولب: 16.

أناس من قومه، فأجابته الصديق أن له نفسا تأمره بالعتاء ونفس تأمره أن لا يفعل، فأجابته الشاعر قائلا<sup>(77)</sup>:

أَمَا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجَلُهُ      حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا  
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ      تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرَضُّعُ الْعَنَمَا

## References

1. "Al-Aghani" (The Songs), Abu Al-Faraj Al-Isbahani (356 AH), edited by Samir Jaber, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd edition: 22/277.
2. "Al-Ikhtiyarin" (The Selectives), Ali bin Sulaiman Al-Akhfash Al-Asghar, edited by Fakhr Al-Din Qabawah, Al-Resalah Foundation, 2nd edition, 1984 AD: 270.
3. "Al-Jami' Al-Sahih Sunan At-Tirmidhi," Muhammad bin 'Isa Abu 'Isa At-Tirmidhi As-Sulami, edited by Ahmed Muhammad Shaker, Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, Beirut: 644/4.
4. "Critique of Poetry," Qudamah bin Ja'far (died 337 AH), edited by Dr. Muhammad Abdul Mun'im Khafaji, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, Beirut, Lebanon: 94.
5. "Diwan Al-Nabigha Al-Dhubyani," Muhammad Abu Al-Fadl Irahim, Dar Al-Ma'arif - Cairo, 2nd edition, 1985 AD: 23-25. "Diwan Al-A'sha," Maymun bin Qays Sharh and Ta'liq by Dr. Muhammad Muhammad Hussein, Al-Matbu'ah Al-Namudhajiyyah, Egypt, 1950: 103.
6. "Elegiac Poetry in the Pre-Islamic Era: A Technical Study," Mustafa Abdel Shafi, Egyptian International Publishing Company, Egypt, 1st edition, 1995 AD, p. 191.
7. "Fi Sharh Abiyat Al-Mughni," Abdul Qadir bin 'Umar Al-Baghdadi (died 1093 AH), edited by Abdul Aziz Ribah and Ahmed Youssef Daqqaq, Dar Al-Mamoon for Heritage, 1st edition, 1393 AH - 1964: 5/10.

(77) المصدر نفسه: ١٠٨.

8. "Ghareeb Al-Quran," Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah Al-Dinawari (died 276 AH), edited by Ahmad Saqr, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, 1398 AH - 1978 AD: 1/331.
9. "Islamic Poetry in the Early Islamic Era: A Philosophical and Artistic Study," Ali Kamal Al-Fahadi, Doctoral Thesis, College of Arts, University of Mosul, 73:1990.
10. "Khozana Al-Adab Walab Labab Lisano Al-'Arab," Abdul Qadir bin 'Umar Al-Baghdadi (died 1093 AH), introduced and annotated by Muhammad Nabil Tarrifi, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1418 AH - 1998 AD: 1/312.
11. "Tahreer Al-Tahbhir Fi Sana'at Al-Shi'r Wal-Nathr Wal-Bayan Fi 'Ijaz Al-Quran," Ibn Abi Al-Asbah Al-Misri (died 654 AH), Cairo, 1383 AH - 1963 AD: 1/62.
12. "The Gazelle Garden in Ancient Poems," Abdul Karim Ya'qub, Tishreen University Journal of Scientific Studies and Research, Issue 27, Volume 1, 2005: 23-24-25.
13. "The Poetry of Namir ibn Tawlab," Dr. Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Ma'arif Printing Press, Baghdad, 1969 AD: 59-60.

## *"The Virtuous Manners in the Poetry of Al-Namir bin Tulib"*

Taariq Muhammad Ameen\*

Ibraahim Muhammed Mahmood AL-Hamdany\*\*

### **Abstract**

The notion of virtuous manners in the poetry of Al-Namir bin Tulib , in its general view, is the total poetic experience of the poet because the latter is the Link between group of visions, pictures, ideas and emotions in one hand and the pattern of manifestation on the other hand. The values come in the foreword of manifestation about the experience and they are linked together in a strong psychological connection . The ability of portraying is the most important talent that the poet possess. If we represent number of critic's sayings about the importance of the values in the artistic work, we are going to find them saying that the poetry won't be poetry unless it has got values which are the central structure of poetry and its artistic instrument around it. The values that appeared in Al-Namir's poetry are loyalty, generosity, miserliness and betrayal.

**Key words:** (depiction, faith, wisdom).

---

\* Asst. Lect./Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul.

\*\* Prof./Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul.